الجمـــهوريـــة الجــزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشعـــبية
وزارة التعـــليـــم العـــالي و البـــحث العلـــمي
جـــامعة وهـــران 1 أحمـــد بن بلـــة
كلـــية العـــلوم الانســـانية و العلـــوم الاســـلامية
قسم التاريخ و علم الآثار



الطب و المجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830 م
(مقاربة اجتماعية)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث

من اعداد الطالب :
بوحجرة عثمان

تحت اشراف :
أ.د دادة محمد

لجنـــة المناقشة :

الأستاذ الدكتور غالم محمد	رئيســـا	جامعة وهـــران
الأستاذ الدكتور دادة محمد	مشرفا و مقررا	جامعة وهـــران
الدكتور غازي الشمري	منـــاقشا	جامعة وهـــران
الدكتور حمدادو بن عمر	منـــاقشا	جامعة وهـــران

السـنة الجــامعية : 2014–2015 م

بســـم الله الرحمـــن الرحـيم

اهـــداء

. الى روح والدي رحمهما الله

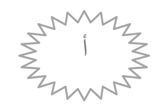
الى عائلتي الكريمة : الزوجة و الأولاد و اخوتي و أخواتي

شكر و تقدير :

أتقدم بعظيم الشكر و جزيل الامتنان و العرفان للأستاذ المشرف محمد دادة الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه و سماحته ، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الى كافة الأساتذة بكلية العلوم الانسانية، الأستاذ فغرور ، الأستاذ غازي الشمري ، الأستاذ حمدادو ، و الأستاذ بوعيزم ، و الأستاذ غانم و الأستاذة بوخالفة و كل من كان له دور و مساهمة في تعليمنا .

كما لا يفوتني أيضا أن أتقدم ببالغ الشكر الى صديقي نمر بومدين هشام الذي لولاه لما أتممت هذا العمل .

مقدمــــــــــــــــة



مــقدمة :

عرف الإنسان ممارسة الطب منذ القديم، منذ بدأت الإنسانية حيث قال بلين القديم : " إن لم يكون للشعوب طبيب ، فانه كان لهم طب ".

إن الإنسان بفطرته إذا واجهته صعوبات يبحث عن حلول للتخفيف من حدتها ، فانه إذا ما أحس بالألم لجأ إلى الطب و العلاج ملتمسا جميع السبل من أجل الشفاء ، و هنا يمكننا القول أن المداواة نشأت مع الألم . قال الله سبحانه و تعالى : «لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَانَ فِى كَبَدٍ» (صدق الله العظيم) [1] و قد خلق الله الإنسان و جعل الداء و من نعمه أن أنزل معه الدواء مما جعل الإنسان منذ القدم يسعى جاهدا بأخذ أسباب الشفاء من الداء و المداواة من الألم ، و سيمتد هذا السعي متواصلا غير منقطع إلى الأبد ما دام الإنسان على وجه الأرض حتى يرث الله الأرض وما عليها ، سنة الله في خلقه . و من هنا كانت ممارسة الطب حصاد تجربة إنسانية طويلة و قديمة امتدت لآلاف السنين ... بدأت بالملاحظة البطيئة و تجاوب الإنسان مع محيطه الطبيعي , فكان أصل المداواة نباتات البيئة ، و ارتبطت ممارسة الطب و طرق التداوي بالمحيط الجغرافي و واقع الإنسان في شتى أشكاله الاجتماعية و الثقافية . وبالتالي يعتبر الطب من أرقى العلوم التي مارسها الإنسان و من أشرفها غاية ذلك لأنه يتناول الإنسان و ما يعتريه من مرض و سقم ، مما جعل البعض يقول أن ممارسة الطب في أشكاله الأولى سبقت عصور التدوين .

و قد عرفت الجزائر ممارسة الطب منذ القديم , ذلك أنها كانت إحدى المحطات التي توافدت عليها أجناس مختلفة من جمــيع أنحاء البحر الأبيض المتوسط , فكانت عبر العصور محور تقاطع لعدة حضارات تعاقبت عليها , أثرت فيها و جعلتها تزخر بتنوع بشري و إثراء في ميدان الوقاية و العلاج ، كل هذا كان له الأثر على الممارسة الطبية و الأحوال الصحية فتطورت التقاليد الطبية حسب الحركية التاريخية و العلمية و الاعتقادات التي كانت سائدة

---

[1]-الآية رقم (04) من سورة البلد

في كل فتـرة ذلك أن الممـارسة الطبيـة تفاعلت و تـأثرت مع الأحـداث التاريخية التي عرفتها الجزائر فكانت حوصلة لتجربة فكرية , علمية , اجتماعية و ثقافية . و يمكننا من خلال دراسة الممارسة الطبية و الأحوال الصحية، إلقاء نظرة على المجتمع الجزائري في فترة معينة ، ذلك أنه كلما تحسنت الأوضاع الصحية و كانت هناك تقاليد طبية حسنة إلا و تبعه انخفاض في عدد الوفيات و زيادة في عدد الولادات، مما يؤثر إيجابا على تدعيم الاستقرار السياسي و انتعاش اقتصادي فيعم الرخاء، و العكس صحيح فانه كلما تدهورت الأحوال الصحية و انخفض مستوى الخدمات الوقائية و الممارسة الطبية، إلا و نتج عن ذلك اضطراب اجتماعي و زيادة في الوفيات، و انخفاض في الولادات، و تدني المستوى المعيشي، و انتشار الفقر و الفوضى السياسية و انكماش اقتصادي .

و هذا ما ينطبق و يتضح جليا على فترة الحكم العثماني للجزائر التي تمتد من 1519 – 1830 م حيث عرفت فيها الجزائر ترسيم كيانها و حدودها، وتكونت ما يعرف بالايالة الجزائرية، و شهدت هذه الفترة تطورات سياسية و توافد أجناس منهم أطباء أجانب و ظهور أوبئة فتغيرت البنية الاجتماعية و العمرانية ، و ارتبطت الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الصحية ببعضها البعض ، فممارسة الطب و دراسة الوضع الصحي خلال هذه الفترة من الحكم العثماني له أهمية كبيرة تقتضي معرفة تلك الأوضاع لارتباطها، و تمكن الدارس لها من تسليط الضوء على جانب مهم من تاريخ الجزائر الاجتماعي و الثقافي من زاوية الممارسة الطبية و الأوضاع الصحية . و من هذا المنطلق كان موضوع بحثنا بعنوان " الطب و المجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519 – 1830 م مقاربة اجتماعية " و هدف دراستنا هو تسليط الضوء على جانب و شريحة الأطباء في المجتمع الجزائري في هذا العهد من خلال ممارستهم الطبية و محاولة إلقاء نظرة عن المجتمع في تلك الفترة عبر أمراضه و تصرفات أفراده و حكامه تجاهها.

و ترجع أسباب اختيارنا للموضوع الى ما يلي :

1- تميز الدراسات التي اطلعنا عليها و التي تناولت الجزائر خلال العهد العثماني بكثرة المواضيع السياسية والعسكرية والبحرية، في حين بقي واقع المجتمع بكل شرائحه الفاعلة

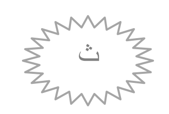
بعيدا عن اهتمامات الباحثين، إلى غاية الستينات من القرن العشرين حيث ظهر توجه جديد يعنى بالحياة الاقتصادية والاجتماعية .

2- أن دراسة ممارسة الطب خلال العهد العثماني في الجزائر ليس ببسيط , بحيث أن أبرز المصادر الأجنبية منها التي تطرقت لهذا الموضوع تشير إلى انخفاض مستوى الخدمات الطبية إن لم يكن ممارسة الطب منعدمة تماما كما أكده لوجي دو تاسي laugier de tassy عن عدم وجود طبيب واحد في الجزائر, و ان ميز قليلا شاو shaw و قال أنه لم يرى سوى عددا ضئيلا من الأطباء الجزائريين الذين يعرفون اسم الرازي وابن سينا , أما الأستاذ لوسيان لكلرك lucien leclerc فانه يعترف لعبد الرزاق ابن حمادوش أنه آخر طبيب عرفته الجزائر خلال العهد العثماني . فمهما كانت صحة هذه المعلومات من عدمها فان أغلب المؤرخين الأجانب يصفون الأطباء الجزائريين خلال هذا العهد بالجهل و الأمية و عدم الكفاءة، و أن ممارستهم كانت أكثرها تقليدية . أما المصادر المحلية فلم تتكلم كثيرا عن الطب و ممارسته و ما نلمسه هو تناولهم لانتشار الأوبئة و تفشي الأمراض و حدوث الكوارث الطبيعية، و ذلك لشدة الأثر البالغ الذي تركته هذه الأوبئة و الأمراض في نفوس الناس، مما جعل تدوين هذه الأحداث بشكل يغلب عليه الطابع الوصفي المجرب و تداخل المعلومات متعرضين أكثر إلى ما أحدثه ذلك الوباء أو المرض من خسائر بشرية و فقدان أعيان أو شخصيات ذات نفوذ ديني أو اجتماعي دون ذكر ما كان يعمل به من تدابير وقائية أو ممارسات طبية و شفائية . تلك هي صعوبة الموضوع ، أجانب كتبوا و قللوا من شأن الطب و الأطباء في الجزائر و كتابات محلية أهملت و غفلت عن التدوين لهم .

3- سبب شخصي و هو مزاولتنا لمهنة الطب ، و هوايتنا و ميولنا الى القراءة و الأبحاث التاريخية خاصة المحلية.

و الاشكالية المطروحة في البحث تتشكل من الأسئلة التالية :

- كيف كان الطب في الجزائر خلال العهد العثماني ؟



- ما هو الواقع الصحي للجزائر في هذا العهد و ما هي الأمراض و الأوبئة التي عرفتها المنطقة في هذه الفترة ؟

- ما هي أبرز الخدمات الطبية التي توفرت و هل كانت هناك هياكل و منشآت صحية في الجزائر العثمانية و ما كان دورها ؟

- من هم أبرز الأطباء و ما هي أبرز طرق التداوي و العلاج ؟

- هل كانت هناك سياسة صحية للسلطة العثمانية تواكب تطورات المجتمع الجزائري من تشريعات و إصلاحات و إيجاد هيئة لضبط و مراقبة مهنة الطب، و مؤسسات تعليمية للطب في الجزائر في هذه الفترة ؟

- هل كانت فيه مواكبة للتطور العلمي و المهني للطب، أم بقيت الممارسة الطبية ترتكز أساسا على الموروث الثقافي للطب التقليدي ؟

- هل كانت ممارسة الطب مرآة للوضع الثقافي للمجتمع في تلك الفترة ؟

- هل وجدت تقاليد مهنية طبية في تلك الفترة ؟

تلك هي الإشكالية التي سنحاول الإجابة عنها في دراستنا متبعين الخطة التالية و هي : مدخل و فصلين و خاتمة و ملاحق و جاءت كما يلي :

- المدخل تطرقنا فيه إلى تطور ممارسة الطب في الجزائر قبل مجيء العثمانيين منذ العهد القديم و في الفترة الرومانية مرورا بالعهد الإسلامي و إبراز الثقافة الطبية التي كانت تسود في الجزائر عند مجيء الأتراك.

- الفصل الأول بعنوان ممارسة الطب و الواقع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني و ينقسم الى مبحثين ، المبحث الأول تعرضنا فيه الى ممارسة الطب في الفترة العثمانية و الذي تباين في ثلاث فئات ، الطب الشعبي الذي كان موجها للسكان المحليين و ذكر أبرز الأطباء المحليين الذين مارسوه ، طب الأوروبيين الذي كان موجها للأجانب الذين حلوا بالبلاد من أسرى و أحرار و تجار و رحالة مع ذكر أبرز الأطباء الأوروبيين ، طب الأتراك الذي

كان خاصا بالفئة الحاكمة من الأتراك ، أما المبحث الثاني فسنتحدث فيه عن الواقع الصحي و الأمراض و الأوبئة التي كانت في تلك الفترة كما تناولنا خلاله أهم العوامل المؤثرة في الوضع الصحي مثل العامل الاقتصادي و العامل الديموغرافي و ذكر أبرز الأمراض و الأوبئة التي ظهرت خلال هذا العهد.

- الفصل الثاني بعنوان السياسة الصحية للسلطة العثمانية و الواقع الاجتماعي و ينقسم إلى مبحثين ، المبحث الأول تطرقنا فيه من خلال عنصريين إلى المنشآت الاستشفائية التي كانت توفر الخدمات الصحية و العلاج منها المسيحية ، و منها التي أقامتها السلطة الحاكمة كالملاجئ و المصحات و قنوات المياه و التطهير مبرزين دورها في الوقاية الصحية. والعنصر الثاني من المبحث سنتناول فيه طرق المداواة و الوقاية و العلاج مثل التداوي بالأعشاب ، الجراحة والصحة النفسية. أما المبحث الثاني فسنتناول فيه الوضع الصحي كمقاربة للواقع الاجتماعي للجزائر في تلك الفترة و ذلك في عنصريين ،الإجراءات الصحية للسلطة الحاكمة و غياب تشريعات و إصلاحات و إيجاد هيئة لضبط و مراقبة مهنة الطب و العنصر الثاني هو انتشار ظاهرة التصوف و انعدام مؤسسات تعليمية كبرى للطب في تلك الفترة.

أما الخاتمة فهي حوصلة عامة لأهم الاستنتاجات التي خلصنا اليها من بحثنا .

و قد اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي الوصفي مع المقارنة بين المعلومات من خلال المصادر المحلية و الأجنبية .

و لانجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع يأتي في مقدمتها :

- المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808 هـ / 1406 م ، و انتقينا منه ما يتعلق بتقسيم المجتمع الى بدو و حضر و علاقتهما بالبيئة و الصحة ، و رؤيته حول آثار المجاعة و الكوارث الطبيعية التي ذكر أنها من المؤشرات التي تعجل بنهاية الدورة الحضارية للدول ، و عدم استقرارها .

- **المرآة لحمدان خوجة** ، و هو كتاب تناول فيه صاحبه عدة معطيات تاريخية و جوانب عن المعاملات الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، و قد أخذنا منه خاصة ذكره أن المجتمع الجزائري يتكون من غالبية بدوية و أقلية حضرية، و انطلاقا من هذه الفكرة قسمنا ممارسة الطب في المجتمع الجزائري إلى ممارسة طبية ريفية و أخرى مدينية و هما نواة الممارسة الطبية الشعبية .

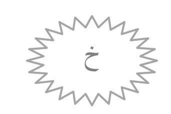
- **رحلة ابن حمادوش و المسماة بلسان المقال ، لنفس المؤلف** ، الكتاب عبارة عن سرد لرحلته و يحوي عدة اشارات و معطيات حول قضايا اجتماعية و سياسية و اقتصادية و ثقافية و دينية و تاريخية في الجزائر و المغرب و المشرق العربيين ،و أخذنا منه ما يتعلق بطرق التداوي .

- **مذكرات نقيب أشراف الجزائر لأحمد الشريف الزهار** ، و الذي يعد مصدرا هاما انتقينا منه الأحداث المتعلقة بالضوابط الاجتماعية و الثقافية و معاملة السلطة للرعية و تأثرها عند حدوث الكوارث الطبيعية و الأوبئة و علاقة الأحوال الصحية بالأوضاع و الظروف السياسية .

- **القحط و المسغبة ببلدة قسنطينة لمحمد صالح العنتري** ، و قد تطرق صاحب الكتاب في مؤلفه هذا للظروف و الأوضاع المعيشية و الصحية للجزائر عند حدوث الكوارث الطبيعية و علاقة المجتمع بالسلطة ، و بين المؤلف سياسة السلطة و تصرفاتها حيال هذه الأزمات الأمر الذي أفادنا في المحور الخاص بالسياسة الصحية للسلطة الحاكمة.

- **خاتمة أنيس الغريب و المسافر لمسلم بن عبد القادر** ، و موضوع هذا الكتاب هو نفس ما تطرق اليه محمد صالح العنتري و لكن في الناحية الغربية ، و أخذنا منه أيضا سياسة الأتراك في مواجهة الأزمات و الكوارث الطبيعية و الصحية .

كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من المصادر الأجنبية التي تناولت تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني و انتقينا منها نظرة مؤلفيها للطب و الأوضاع الاجتماعية و المعيشية للجزائر خلال هذا العهد ، مثل كتاب تاريخ الأسر في الجزائر لدييغو فرا ي دي هايدو ، و كتاب رحلة في مملكة الجزائر في القرن الثامن عشر لتوماس شاو الذي زار الجزائر في الفترة ما بين



1720و 1732 م ، و فونتور دو بارادي في كتابه " الجزائر خلال القرن الثامن عشر " الذي زار الجزائر في 1789 م، وترك لنا وصفا دقيقا لأوجاق الجزائر في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . اضافة الى مؤلفات بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر و عايشوا المجتمع الجزائري مثل رحلة الطبيب الألماني هبنسترايت و رحلة الطبيب هوبنشاور ، و قد أفادتنا في بحثنا حول طرق التداوي خاصة الجراحة .

و اعتمدنا أيضا على المجلة الافريقية التي تعتبر ملجأ للباحثين ، لما تحويه من مقالات تاريخية متعددة الموضوعات و الجوانب حول علاقة المجتمع و الحكام و ممارسة الطب و حقائق عن الأطباء الأجانب ، حيث أخذنا منها تراجم لأهم الأطباء الأوروبيين الذين حلوا بالجزائر و عن المنشآت الاستشفائية خاصة مستشفيات الأسرى ، اضافة الى وثيقة ميثاق مستشفيات الجزائر التي تعد نموذجا للسياسة الصحية للسلطة الحاكمة في الجزائر و تعاملها مع الأجانب .

أما أهم المراجع التي اعتمدنا عليها :

كتاب تاريخ الجزائر الثقافي للأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله ، و هو موسوعة تاريخية حول التاريخ الثقافي للجزائر خلال العصور الوسطى و الحديثة ، و قد اعتمدنا على الجزء الثاني الخاص بالفترة العثمانية من سنة 1500 الى سنة 1830 ، و لا يمكن لأي باحث في أي موضوع تاريخي سواء كان اجتماعيا ، ثقافيا أو سياسيا أن يتجاهله، فهو مرجع أساسي لابد من الرجوع اليه ، و قد أفادنا في دراسة الوضع الثقافي و منه الطبي للجزائر خلال العهد العثماني .

كتاب الطب في العهد العثماني لمصطفى خياطي ، و هو طبيب ، وهذا المرجع باللغة الفرنسية و كان بحثه قيما حيث قسم فيه الممارسة الطبية الجزائرية في ذلك العهد الى طب شعبي و أوروبي و طب أتراك ، و قد أخذنا بهذا التقسيم في البحث ، ايمانا منا بصحة هذا التقسيم .

كتاب ممارسة الطب في الجزائر للعربي عبيد ، و قد أخذ بنفس أفكار الكتاب السابق و يحوي معلومات قيمة خاصة حول تاريخ الطب خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية ، و فيه حقائق و شهادات المؤلف حول تاريخ الطب الحديث خاصة بعد الاستقلال .

كتاب الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع للأستاذ ناصر الدين سعيدوني ، و هو كتاب يحوي مقالات تاريخية و مساهمات فكرية و مداخلات للمؤلف في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، و قد استفدنا منه من خلال مقال له عن السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني .

إضافة إلى اعتمادنا على مجموعة من الدراسات الأكاديمية من أطاريح دكتوراه و رسائل ماجيستير أهمها : الصحة و السكان في الجزائر لفلة القشاعي ، و مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حفيظة خشمون ، يضاف الى هذين العملين الاكاديميين رسالة دكتوراه بالفرنسية في الأدب نوقشت في جامعة باريس سنة 2011 بعنوان صورة الطبيب في الأدب الروسي خلال القرن 19 م لنتاليا كوريوكينا – ساكري و كان رجوعنا اليها بهدف مقارنة المجتمع الروسي و الجزائري في تلك الفترة و نظرتهما الى الطب و تعاملهما مع المرض و الأطباء الأجانب ، بهدف إبراز إسقاطات و مقارنة في بحثنا كما رجعنا الى مجلات أكاديمية ساعدتنا في انجاز هذا البحث .

و من الصعوبات التي واجهتنا خلال فترة انجاز هذا البحث هو كثرة التزاماتنا الشخصية و المهنية .

مدخــــــل:

تطور ممارسة الطب في الجزائر قبل مجيئ العثمانيين

مدخـــل :

إن موقع الجزائر الاستراتيجي في البحر المتوسط جعل منها عبر العصور محور تقاطع عدة حضارات وفدت إليها و تعاقبت عليها فتأثرت و أثرت فيها ، فكانت الجزائر مركز تفاعل حضاري (1) مما جعلها تزخر بتنوع بشري و ثقافي واسع و موروث اجتماعي كبير في شتى الميادين و منها الممارسة الطبية و التقاليد الوقائية و العلاج.

فقد عرفت الجزائر ممارسة الطب منذ القديم و تطورت تقاليد هذه المهنة حسب الحركية التاريخية و العلمية و الاعتقادات التي كانت سائدة في كل فترة.

ذلك أن ممارسة الطب تفاعلت مع توجهات مصيرية عرفتها الجزائر، و يرى ناصر الدين سعيدوني أن الكيان الجزائري تشكل عبر محطات رئيسية نجمت و تمخضت عن أحداث تاريخية ، واكبت ممارسة الطب فيها تطور حركية هذه المحطات.

فالمحطة الأولى في تكون الكيان الجزائري تتمثل في الفترة القديمة، و التي بدأت منذ فجر التاريخ، و استمرت حتى القرن 7 م كانت فيها الجزائر مجالا جغرافيا ينتمي إلى البحر المتوسط، ذو معالم غير محدودة و واقع بشري يفتقر إلى هوية (2) عرف بالمغرب القديم، فتميزت هذه المرحلة سياسيا بالوجود الفينيقي على شكل مرافئ على الساحل منذ القرن 8 ق م، ظهرت فيه قرطاجة قوة تجارية و اقتصادية لأول مرة، و سرعان ما أصبحت قوة عسكرية دخلت في صراع مع روما. و كان للوجود الفينيقي في الجزائر تأثير على الصعيد الثقافي و لا سيما على ممارسة الطب، فكان الإنسان في المغرب القديم يرى أن المرض ما هو إلا عقاب الهي ، فكان يمزج في تداويه الأدعية والقرابين للتقرب من الآلهة مع تناول بعض الأعشاب و النباتـات للتخفيف من آلامه حسب ما لاحظه و عرفه و ورثه من أجداده.

1- شويتام أرزقي ،المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م ، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر ، 2009، ص 16

2- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية ، ط2،عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2008، ص ص 164-165.

و يمكن أن نقول أن الممارسات الاستشفائية في تلك الفترة كانت تعكس لنا المعتقدات الدينية في المغرب القديم ، و ظهر اله الصحة أشمون الذي كان في درجة اسكليبيوس الإغريقي، [1] مما يجسد لنا ظاهرة ميل سكان المغرب القديم إلى التعلق بأسماء و عبادة الأجرام الكونية المعروفة في الديانة الشرقية خاصة الفينيقية، لعلهم يجدون تفسيرات لمسببات الأمراض و طريقة علاجها باستعطاف الآلهة بتقديم الأضاحي و القرابين و تناول بعض الأعشاب و النباتات للتخفيف من الآلام . فممارسة الطب في هذه الفترة كانت تعكس لنا نظرة الناس للكون بمختلف مكوناته المادية و المعنوية خاصة انه كان صعبا علي الإنسان في ذلك الزمن أن يجد تفسيرا لمسببات الظواهر الطبيعية للأمراض و اكتفي بالاعتقاد بأن المرض سببه هو وجود قوى خفية و رهيبة ، فالإنسان يمرض إذا غضبت عليه تلك القوى و يشفى إن استعطفها و تقرب إليها، وأصبحت القرابين عنصرا من الوصفة العلاجية الطبية و تفشت شعيرة الأضاحي حسب ما لاحظه ترتوليانوس Tertulianus[2]

غير انه ما لبث أن عرف المغرب القديم في منتصف القرن 2 ق م سياسيا تكون أحلاف قبلية تبلورت بفعل تنافس صفاقس و مسينيسا إلى دول إقليمية، و ذلك في الفترة الممتدة من 220 ق م الى 40 م انتهت بسيطرة روما سنة 146 ق م و تدخل الرومان و تحول الجزائر إلى مجرد دويلات خاضعة لروما (نوميديا – موريطانيا السطيفية – موريطانيا القيصرية)، و قد سعت روما إلى رومنة المجتمع الجزائري فتميزت هذه الفترة بالتوسع الزراعي سياسيا [3] و بانتشار البعد اللاتيني ثقافيا و اعتناق المسيحية عقائديا ، و شهدت هذه الفترة

1- اسكليبيوس : حسب الميثولوجيا الاغريقية هو اله الصحة و الطب و فن الطب ، و هو ابن الاله أبولون و له وجهين يمثلان الحياة و الموت بيده محلول عندما يشربه المرء يشفى أو يموت و فوقه مرآة تمثل الحذر الذي يجب أن يتخذه الطبيب قبل أن يتخذ قرارا فاصلا في المريض ، و قد أخذ الطب عن الحكيم شيرون : أ.أ.نيهاردت ، الآلهة و الأبطال في اليونان القديمة ، ترجمة هاشم حمادي، ط1، الأهالي للطباعة و النشر، دمشق، 1994، ص33.

2- شنيتي محمد البشير ، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984، ص258، 262.

3- شنيتي محمد البشير ، نظرة على الوضع الديمغرافي و الاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، Actes du III congrès d’histoire et de la civilisation du Maghreb (Oran, 26-27-28 novembre1983) le monde rural maghrébin communautés et stratification sociale, tome 1,OPU,alger, 1983, p17.

تطور مفهوم الطب عند الرومان الذين تأثروا بالإغريق مع بروز الفلسفة، و تطور النظريات العلمية، و أصبح الإنسان أكثر تعمقا في النظر في محيطه فظهر أطباء تأثروا بالمنطق العقلي و الأفكار الفلسفية مع الحركة الهلينية و ظهر جالينوس[1] و ايبوكراط[2] وتطور مفهوم الطب فرأى بعضهم أن الصحة هي توازن بين أمزجة[3] .

و كلما اختل التوازن ظهر المرض في الإنسان و بالتالي فان الشفاء يكون عبر الحجامة و الأدوية التي تخرج المضرات كالقيء , وباحتكاك المغرب بالرومان نبغ علماء في المغرب القديم مثل الملك يوبا الثاني الذي درس و كتب بالإغريقية التي كانت لغة العلم في تلك الفترة عن بعض النباتات، مما يوحي لنا عن تشجيع النخبة الحاكمة للعلم عامة و الطب خاصة في تلك الفترة من تاريخ المغرب، وقد تطرق بلين في كتابه تاريخ الطبيعة عن ابرز النباتات المستعملة في تلك الفترة و التي توارثت الأجيال معلوماتها و كانت قاعدة أساسية للطب التقليدي حتى وقتنا هذا.

1- جالينوس: (130-200م) طبيب يوناني، ولد في برجاموس سنة 130م درس في بلاد اليونان و آسيا الصغرى و الإسكندرية و هو خريج مدرسة الإسكندرية و أحد أنجب تلامذتها ، قصد روما و أقام بها حيث اختاره الإمبراطور ماركوس أوريليوس طبيبا لبلاطه و كان يهتم اهتاما بالغا بالتشريح و دراسة وظائف الأعضاء و له في هذا المجال كتابات كثيرة ظلت مرجعا أساسيا في علم التشريح الى غاية ظهور فيساليوس في القرن السادس عشر الميلادي : ابن أبي أصيبعة،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق و دراسة عامر النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1996م،ج1، ص27.

2- أبقراط: (460-370 ق.م) من أعظم أطباء العالم في كل زمان و مكان ، أخذ الطب عن والده ايراقليديس و جده ابقراط و يقال أن ابقراط من تلاميذ اسقليبيوس الثاني لأنه أول من أنشأ المستشفيات و أول من وضع قواعد و أصول صحية غذائية ، كما كان يراقب المريض حتى يعرف علامات المرض كالتعبير المرتسم على الوجه عند دنو الأجل و هو ما يعرف إلى الآن " بالوجه الابقراطي" ، كما كان يرى أن المرض عارض طبيعي و رد فعل من جانب الجسم و أعظم ما يقدمه الطبيب لمريضه هو معاونة قوى الجسم الدفاعية على مقاومة المرض. و كان يعتبر ارتفاع الحرارة دليل على مقاومة الجسم للمرض لذا لقب بأبي الطب: ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق، ص ص 23-24.

3- نظرية الأمزجة ظهرت عند الرومان الذين أخذوها عن الاغريق ، و الأمزجة أربعة و هي السائل الأصفر ، السائل الأسود ، البلغم ، و الدم ، و يحدث المرض اذا اختل التوازن بين هذه الأمزجة و الانسان يكون بصحة جيدة اذا كانت متوازنة . و تطورت هذه النظرية خاصة مع ابن سينا و عرفت بنظرية الأخلاط.

- Abid Larbi, La pratique medicale en algérie , editions ANEP, 2008, p5

و يعتبر يوبا الثاني إلى يومنا هذا من كبار العلماء والمثقفين الأمازيغ الذي عرفوا عند اليونان والرومان والمثقفين اللاتين بسعة المعرفة، والتبحر الموسوعي إذ كان يمتاز بكثرة العلم والاطلاع، وكان كثير السفر والبحث والتجوال، وموسوعي المعارف والفنون. وقد ألف كثيرا من الكتب والبحوث والمصنفات في التاريخ والجغرافيا والرحلة والطبيعيات والفنون والآداب والطب والعلوم الاستكشافية. لكن هذه المؤلفات لم تصل إلينا ، بل ثمة إشارات إليها في كتب المؤرخين ولا نعرف من مؤلفات يوبا الثاني سوى تسعة عناوين . ولاشك أنه نشر كثيرا غيرها وكانت كلها باللغة الإغريقية التي كانت تعد لغة العلم خلال تلك الفترة ومن أهم الكتب التي ألفها يوبا الثاني، نذكر: ليبيكا LYBICA ، و ارابيكا ARABICA، وموسوعة الموسيقى الضخمة، وكتاب تاريخ روما ، ومختصر الآشوريين ، ورسالة عن نبات أوفورب نسبة إلى أوفوربوس الذي كان طبيب يوبا الثاني واشتهر في مجال الطب والصيدلة ، وقد اكتشف دواء ضد السموم ، قادر على تنشيط الفكر وترويح النفس. " وباسم ذلك الطبيب يسمى ذلك النبات، "Euphorbia,Euphorbe"إذ كان أوفوربيوس يوما يتنقل في جبال الأطلس، فعثر على نبات له خواص عجيبة إذ كان السائل Suc الذي يشتمل عليه يقوي النظر ويعطل مفعول سم الحيات والسموم الأخرى فسر الملك بهذا الاكتشاف، وأطلق على النبات اسم أوفورب، الذي صار يعرف به، ثم كتب عنه رسالة صغيرة. لكن پلين الأكبر[1] يثبت بأن يوبا الثاني هو الذي اكتشف هذا الدواء الذي خصص له أحد بحوثه [2]

و قد وجد في شمال افريقيا أكثر من أربعين تمثالا " لأسكليبيوس" الذي تبناه الرومان أيضا، و انتشرت معابده في مختلف أنحاء الجزائر، حيث وجدت معابده في المدن العسكرية مثل مدينة شرشال، اضافة الى آثار التبرك من أجل الشفاء على بعض التماثيل و القطع النقدية . و ظــهر من خلال عدة آثار رومــانية وجـدت بالجزائر.

1- بلين الأكبر: Pliny (23-79م) ، موسوعي روماني عم بلينيوس الأصغر، و هو صاحب موسوعة التاريخ الطبيعي، قضى اختناقا يوم ثار بركان فيزوف : منيرالبعلبكي، معجم أعلام المورد، دط، بيروت-لبنان، 1992، ص111.

2- LECLERC L. L'euphorbe et le roi Juba. *Revue Africaine,* N° 27,1861 ,pp 239 – 240.

لجوء السكان الى الأطباء، حيث تجلت في بعض التماثيل التي صورت أطباء يعالجون مرضى، و في نفس الوقت التقرب ببعض الطقوس من أجل الشفاء و دفع الشر ، كما وجد هناك أطباء بربر حسب ما بينته احدى الرسومات الفسيفسائية بجنوب باتنة التي هي عبارة عن رسم لطبيب بربري يفحص نبض مريض آخذا بيده [(1)]

وعرفت بلاد المغرب القديم نباتات برية استخدمت للتداوي و العلاج منها ما هو محلي و منها ما جلب من أماكن أخرى كبلاد اليونان و أبرز هذه النباتات :

السيليفيوم siliphium: اكتشفه الاغريق كما هو شائع بقورينا أو بثيرا اليونانية، وقد وصفه الأقدمون بأنه نبات ذو جذور غليظة له أوراق تشبه أوراق الكرفس أو الكزبرة، و يبدو أن نباتا يماثله ينمو باحدى الحدائق الملكية البريطانية ، و قد طارت شهرته في بلاد المغرب القديم بحيث اكتشف الأطباء القدامى فوائده العلاجية فاستخدم في علاج عدة أمراض كأمراض العيون، و الأمراض الصدرية، و أمراض الفم و الحنجرة، و الأمراض الباطنية و الصرع و غيرها ، و يجب الإشارة إلى أن مشاهير أطباء العالم القديم و الوسيط استخدموه بدءا من جالينوس مرورا بالأطباء السريانيين و القبط، إلى الأطباء العرب مثل أبي بكر الرازي و ابن سينا. و قد أورد ابن البيطار[(2)] إمام النباتيين و علماء الأعشاب استطبابات كل هؤلاء من السيليفوم في مؤلفه الشهير، غير أن بلين الأكبر فصل أكثر في هذا النبات فذكر فوائده و استطبابات أوراقه و براعمه و جذوره و ساقه و كيفية استخلاص العصير من جذوره ، كما تحدث عن ظهوره و انقراضه[(3)] كما كانت تعتبر الحمامات مرافق صحية فإضـافة إلى كونها أماكن استجمام و راحة و استرخاء و ترفيه فإنها كانت في نفس الوقت تؤدي وظيفة صحية ،

1-, Mostéfa khiati,la medecine en algérie au cours de la période ottomane (XVI-XIX siècle). Edition houma ,2013 , p20.

2- ابن البيطار :هو أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقي الأندلسي ، عالم نبات رحل الى المشرق و زار بلاد الروم و اليونان بحثا عن النباتات النادرة ، و تولى رئاسة العشابين بمصر على عهد الايوبيين ، توفي سنة 646هـ/1248م ، له الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية : منير بعلبكي، المرجع السابق، ص19.

3- قعر المثرد السعيد، الزراعة في بلاد المغرب القديم (ملامح النشأة و التطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م)، مذكرة ماجيستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص ص 75-76.

ذلك أن المواطن الحضري كان يقسم يومه إلى ثلاثة أقسام : الصباح للعمل، المساء للتسلية و الترفيه، أما ما تبقى فللنوم، فبعد تناول الغذاء و بعد الزوال كان يتوجه المواطن إلى الحمامات لقضاء وقت يستمر الى آخر النهار (موعد تناول العشاء)، و كانت الحمامات تتوفر على مجموعة من القاعات، لكل منها وظيفة خاصة و هي:

قاعة خلع الملابس (apodyterium)، قاعة الاستحمام بالفاتر(Tepiderium)، قاعة التعريق، قاعة الاستحمام بالحار(Caldarium) لإزالة العرق، قاعة الاستحمام بالبارد(Frigidarium) و هي القاعة الأكثر بذخا، و لغرض شد العضلات و تقويتها، و تكون مسبوقة في كثير من الأحيان بقاعة الحركات الرياضية (Palaestrum)، و أخيرا قاعة الدلك بالزيت (Elaeothesium) و يكون التدليك بزيت الزيتون لغرض جمالي و صحي . [(1)]

غير أنه ما إن حل منتصف القرن 5 م حتى تصاعدت النزعة التحررية للقبائل البربرية و قيام ثورات وانقسام ديني بظهور الدوناتية فتراجع التوجه الروماني في المجتمع مما شجع الوندال على اجتياح الفضاء الجزائري عام 431 م الذي انحصر وجوده في السواحل و الجهات الشرقية و عقبه الغزو البيزنطي عام 543 م، و بروز المعارضة البربرية في المناطق الجبلية و ظهور إمارات مستقلة في المناطق الداخلية و اقتصرت الهيمنة البيزنطية على الجهات الشمالية الشرقية للجزائر بينما ظلت أغلب المناطق المتبقية فضاءا جغرافيا و واقعا بشريا تؤثر فيه قوى خارجية و تتنازعه مجموعات محلية مما أدى إلى عدم الاستقرار السياسي الذي امتد من منتصف القرن 4 م إلى غاية القرن 7 م [(2)] ظهر خلال هذا العهد انخفاض في مستوى الخدمات الصحية و تدني المستوى المعيشي وانتشار الفقر خاصة في

1- عقون محمد العربي ، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم، دط ، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2008، ص ص 267-268.

2- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية ،المرجع السابق ، ص 166

البادية مما جعل بعض العائلات تتخلى عن أطفالها أو تبيعهم صغارا لعجزها على إعالتهم فانتشرت ظاهرة الأطفال المتشردين [1] و انخفضت نسبة الأطفال الأحياء التي كانت ما بين 02 و 03 للعائلة الواحدة، و يرى محمد البشير شنيتي أن ذلك راجع إلى نقص الرعاية الصحية و تفشي ظاهرة الإجهاض بممارسة مختلف الأساليب من سحر و تناول أعشاب أثرت في صحة المرأة [2] . فعدم الاستقرار السياسي أدى إلى انكماش اقتصادي أدى بدوره إلى تدني المستوى المعيشي و انخفاض مستوى الخدمات الوقائية و الممارسة الطبية .

أما المحطة الثانية لتكون الكيان الجزائري فتمتد من نهاية القرن 1 هـ - 7 م إلى نهاية القرن 8هـ -14 م عرف اثرها هذا الفضاء الجغرافي بالمغرب الأوسط و اكتسبت الجزائر خلاله ابرز مقوماتها الإسلام كعقيدة و العربية كلغة، و سياسيا عاش المجتمع في هذه الفترة في ظل الخلافة الإسلامية فبعد عصر الولاة ظهرت دول إقليمية بالمغرب الأوسط و هي:

حكم ولاة بني أمية في القيروان 122- 157 هـ /740 م – 774 م.

الدولة الرستمية في تيهرت 160-296 هـ / 776 م – 909 م.

دولة الادارسة التي حكمت الجهات الغربية و أسست امارات في كل من تلمسان و هاز و متيجة 172-311 هـ / 788 م – 923 م.

الدولة السليمانية و الامارات العلوية 173-342هـ / 789-954م.

دولة الاغالبة التي حكمت الجهات الشرقية 184-296 هـ / 800 م – 909 م .

وتعتبر الدولة الفاطمية التجربة الأولى للوحدة المغاربية حيث انضوى تحت لوائها جميع المغاربة ، وقد دام عهدها في بلاد المغرب من سنة 296الى 387 هـ / 909 م – 996 م[3]

1- شنيتي محمد البشير ، نظرة على الوضع الديمغرافي و الاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ،المرجع السابق ، ص 17.

2-نفسه، ص16

3- فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين (814ق.م – 1962) ، دط ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، 1423هـ - 2002 م ، ص ص 298-299.

و بعد تحولها إلى مصر تركت حكم بلاد المغرب لحلفائها و عمالها الصنهاجيين الذين ما لبثوا أن خرجوا عن طاعتها برفضهم المذهب الشيعي، و الذين سينفصل عنهم بدورهم أبناء عمومتهم بنو حماد في القلعة و الذين ستمتد دولتهم من 398 الى 547 هـ / 1014 – 1153 م و يعتبر عهدهم من أزهى الفترات الحضارية للدولة الاسلامية ببلاد المغرب ، أما الدولة المرابطية فقد شمل حيزها السياسي المغرب الأقصى و الأندلس و جزء من المغرب الأوسط، و أما الدولة الموحدية 515-668هـ /1121-1269م فانها تعتبر التجربة الثانية للوحدة المغاربية .و آخر محطة للعصر الاسلامي لبلاد المغرب هي فترة ما بعد سقوط الدولة الموحدية و قيام الدويلات المستقلة الثلاث و هي الحفصية بالمغرب الأدنى (تونس) ، الزيانيين بالمغرب الأوسط (الجزائر) و عاصمتهم تلمسان633-962هـ / 1235-1554م ، المرينيون بالمغرب الأقصى و يطلق على هذا العصر عصر الانقسام و الضعف. [1]

و خلال هذه الفترة احتك المغرب الإسلامي بالمدنية الإسلامية و أثرت حتميا فيه، و ظهر الطب النبوي و سطعت أسماء ابن سينا و ابن رشد و ابن زهر الذين استطاعوا أن يسموا بالطب كعلم وفن أولا وبالطبيب كانسان حكيم غزير المعرفة يدرك العلوم المنطقية من كيمياء و فلك و علوم النباتات ثانيا ,فنضجت المهنة و التقاليد الاستشفائية و أصبح الطب أكثر علمية و منطقا.

وبرزت الترجمة وارتقت إلي وسيلة لتعارف الأمم و نقل العلوم من اللغة الإغريقية إلي اللغة العربية و تعربت المعارف اليونانية وانصب اهتمام العلماء المسلمين علي العلوم العقلية مع فلسفة أفلاطون و أرسطو و طب ابيوقراط و غاليانوس و كان للمسلمين الفضل في نقل و الحفاظ علي الإرث المعرفي الإغريقي و الروماني الذي بنيت عليه الحضارة الغربية عندما احتكت أوروبا بالأندلس[2]

كما أن الشرع الإسلامي صنف الطب من العلوم المستحبة و الضرورية للإنسان آخذين

1- فركوس صالح ، المرجع السابق ، ص ص 298-299

2- Mohammed Abbassa : Traduction des connaissances arabes, in Comparaison, N° 13, Université d'Athènes 2002, p. 177

بقول الشافعي : {{ لا أعلم علما بعد الحلال و الحرام أنبل من الطب }}، حيث كان يتحسر في نفس الوقت على ما ضيعه المسلمون من صناعة الطب في بداية الأمر و ذلك بقوله {{ لقد ضيعوا ثلث العلم و أوكلوه لليهود و النصارى }}[1] و يعود الفضل في دخول الطب الذي كان آنذاك أحد فروع الفلسفة إلى حواضر افريقية على عهد الأغالبة الذين شهد عهدهم وفود أطباء من العراق إلى القيروان ، لكن هذا لا يعني أن الممارسة الطبية كانت منعدمة ، و من أبرز هؤلاء الأطباء الوافدين من المشرق إسحاق بن عمران البغدادي[2] الذي يعتبر من أشهر نقلة العلوم الطبية و الفلسفية إلى بلاد المغرب الإسلامي و عنه أخذ المغاربة علم الطب و الفلسفة و لم ينبغ و يشتهر منهم غير أحمد بن الجزار في العصر التالي ، كما يعتبر إسحاق بن سليمان الإسرائيلي[3] الذي عاصر الأغالبة و الفاطميين ممن اشتهروا في صناعة الطب بعد إسحاق بن عمران البغدادي [4]

ولقد شهدت قلعة بني حماد تطورا في مجال الطب ومن مظاهر تطور الطب في القلعة بروز أطباء كبار منهم: أبو جعفر بن علي البذوخ (ت575هـ/1079م) المعروف بابن البذوخ القلعي الطبيب الذي جمع بين الطب والصيدلة، رحل إلى المشرق واستقر بدمشق له كتب لا تزال مخطوطة منها "حواشي على كتاب القانون لابن سينا"، و"شرح الفضول لأبي قراط" في أرجوزة وكتاب "ذخيرة الألباب في الباءة" و"لطائف الأنوار في الطب" ، أما الطبيب الثاني هو ابن أبي المليح، كان طبيبا مشهورا، حاذقاً في صناعة الطب، ويوجد طبيب آخر يظهر من

1- فيلالي عبد العزيز ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى ، عين مليلة- الجزائر ، 2014، ص 110.

2- اسحاق بن عمران البغدادي الأصل ، المسلم النحلة ، دخل افريقية في عهد زيادة الله بن الأغلب (290-296هـ) لممارسة الطب ، حبسه زيادة الله بن الأغلب ثم قتله: ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء و طبقات الأطباء ، تحقيق نزار زغبة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، دت ، ج3، ص 65.

3- كان تلميذا لاسحاق بن عمران البغدادي و هو يهودي خدم الأغالبة و الفاطميين(عبيد الله المهدي) ، توفي حوالي سنة 320هـ/899م له عدة مؤلفات في الطب أشهرها كتاب سنان الحكيم ، كتاب الحدود و الرسوم ، كتاب في الحكمة و غيرها : ابن ابي أصيبعة ، المرجع السابق ، ص ص58،65./ ذكر أحد المراجع أنه عاش بتلمسان : العرباوي عمر ، التميز... خصوصية الطب و الأطباء في تلمسان قراءة في تأثير هجرة الأطباء العرب و اليهود على الممارسة الطبية في المجتمع التلمساني ، المواقف ، عدد4 ، ديسمبر 2009، ص179.

4- - بونار رابح ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، ط3، دار الهدى ، عين مليلة – الجزائر ، 2000م ، ص ص 70-72.

اسمه أنه من أسرة البذوخ وهو أبو حفص عمر بن علي ابن خليفة ابن البذوخ[1] القلعي، إضافة إلى ابن النباش البجائي المتوفى أواخر القرن 05 هـ/ 11م ، الذي كان طبيبا ، مواظبا على علاج المرضى، ملما بالعلوم الطبيعية ، و مشاركا في سائر العلوم الفلسفية[2]

وعن تطور الأدوية والطب في قلعة بني حماد نجد نص للإدريسي يبين ذلك : « بهذه المدينـة عقارب كثيــرة سود، تقتـل في الحــال وأهل القلعة يتحـرزون منــها ويتحـصنون من ضررها، ويشربون لها نبات الفليون الحراني، ويزعمون أنه ينفع، درهمين منه لعام كامل... وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لسعته العقرب فسكن الوجع سريعا، ثم أنه لسعته العقارب في سائر العام ثلاث مرات، فما وجد لذلك اللسع ألما وهذا النبات ببلد القلعة كثير» [3] فمن خلال ما أورده الإدريسي يتضح مدى تطور وازدهار الطب في القلعة، حيث كانوا على دراية كبيرة بأسرار النباتات العلاجية [4].

أما بجاية فقد أضحت خلال العهد الموحدي مركزا علميا عظيما يزخر بكبار العلماء و الأدباء و الأطباء ، فمن بجاية استدعي الطبيب أبو إسحاق إبراهيم الداني لإدارة بيماريستان مراكش[5] ، ومن أشهر أطباء العهد الموحدي نذكر الطبيب أبو جعفر الذهبي (553-600 هـ/ 1134-1204م) الذي كان طبيب السلطان المنصور و قد كـان مستقرا بتلمســان اضـافة الى

1- كان فاضلا خبيرا بمعرفة الأدوية المركبة و المفردة و له حسن نظر في الاطلاع على الأمراض و مداواتها ، أقام بدمشق سنين كثيرة ، و عالج الناس و نفعهم ، وله كتب في الطب منها حواش على كتاب القانون لابن سينا : ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ج3، ص 80، ذكر أحد المراجع وجود طبيب و صيدلي بنفس الاسم خلال العهد الحمادي وهو أبو حفص عمر بن علي بن فلول القلعي و ليس بن البذوخ و لكن الأرجح أنه نفسه ينظر : حساني مختار ، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية ، دار الهدى ، عين مليلة- الجزائر ، ج1، 2011،ص ص 150-151

2- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2، -دار الصحوة ،القاهرة ،1411هـ-1991م ص270/ قويسم محمد ، الطب في قلعة بني حماد ، الملتقى الوطني الأول للدولة المركزية لقلعة بني حماد و الإشعاع الثقافي و الفكري ، ، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، الجزائر ، 26-27 أفريل 2005، ص 02.

3- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ط1، عالم الكتب ، بيروت- لبنان ، 1409هـ/1989م، ص 109.

4- قويسم محمد ، المرجع السابق، ص 03. / و ما يجب ذكره أن الإدريسي و الحسن الوزان كانا من أصحاب الملاحظات الثاقبة بحيث استطاعا أن يقدما نظرة دقيقة حول البيئة الجزائرية و أدركا أن لسعات العقارب كانت من المشاكل الصحية العويصة التي تؤدي الى الوفاة و ما زالت لحد الساعة كذلك ، ما دفع بالدولة الجزائرية اليوم إلى استحداث مرصد في وزارة الصحة لاحصاء عدد المصابين بلسعات العقارب التي أصبحت من مشاكل الطب العمومي.

5- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص 534.

الطبيب أبي عبد الله الندرومي محمد بن سحنون الكومي الذي كان طبيبا لدى أمراء الموحدين كذلك [1] ، و حتى بعد العهد الموحدي لم تفقد بجاية مكانتها العلمية بل بقيت كما هي خلال القرن 7هـ/13م ، فقد ظلت دائما مقصد كبار الأطباء و الصيادلة الذين حلوا بها في رحلاتهم العلمية ، ففي مجال البحث الصيدلي استطاعت بجاية المحافظة على استمراريته نظرا لغنى جبالها بالأعشاب ،و قد أشار الإدريسي إلى مجموعة من النباتات المنتفع بها في صناعة الطب بجبل مسيون شمال بجاية وهي الحضن و السقولوفند ، وديـون، والبراميـس ، و القنـطوريون و الزراونـد ، والقسطــون، والأفسنتين، و غير ذلك من الحشائش[2] و إن ما يؤكد ازدهار ميدان الصيدلة بها هو أنه زارها صيادلة و علماء نبات مرموقين كالصيدلي ابن الرومية الاشبيلي في رحلته[3] كما أن ما يثبت أن المغرب الأوسط قد بلغ مبلغا عظيما في الحركة العلمية بشقيها العقلية و النقلية خلال العصور الوسطى هو أنه أصبحت تشد إليه الرحال لطلب العلم من بلاد المغرب و بلاد المشرق و من أمثلة ذلك الرحالة عبد الباسط الذي قصد تلمسان ليدرس الطب بها و غيره من العلوم [4].

و عرف المغرب الأوسط حركة علمية واسعة في القرن 13م وبرز فيه علماء و أطباء أمثال محمد ابن احمد الأموي المدعو ابن الدارس الذي درس الطب في بجاية و عمل طبيب في بلاط المستنصر [5] و قد شهد القرن 08هـ- 09هـ/14-15 م وجود فقهاء كتبوا في الطب والعلاج و من أبرز هؤلاء الفقيه حسن بن علي والد ابن قنفذ القسنطيني الذي ألف كتاب المسنون في أحكام الطاعون[6] و ابنه أحمد الخطيب بن قنفذ (ت810هـ-1410م) الذي ألف أرجوزة في الأغذية و الأشربة [7]

1- العرباوي عمر ، المرجع السابق ، ص 179.
2- عويس عبدالحليم ، المرجع السابق، ص ص 270-271.
3- ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص538/ ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،ج1، 1424هـ-2003م، ص ص 83-88 / المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت- لبنان ،ج3، 1419هـ-1998م،ص ص197-198 .
4- زكي محمد حسن ،الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دط ، دار المعارف ، دم ، 1365هـ/ 1945م، ص 175.
5- Lucien leclerc, histoire de la médecine arabe, tome II, édition du ministère des habous et des affaires islamiques , Rabat, 1980, p252.
6- حساني مختار، المرجع السابق ،ص221.
7- فيلالي عبد العزيز ، المرجع السابق ،ص 120

أما تلمسان فالبرغم من أن نجمها لم يبدأ في السطوع في الحركة الفكرية و الثقافية إلا مع الزيانيين إلا أنها قبل هذا العهد قد عرفت حركة فكرية و ظهور علماء و أطباء أشرنا اليهم قبل قليل خلال العهد الموحدي لكن العهد الزياني هو ما يميز تلمسان كحاضرة و أرضية للعلم و العلماء خاصة في ميدان الطب و ما يجب ذكره أن هؤلاء الأطباء لم يكونوا من المسلمين فقط و إنما كانوا من اليهود أيضا نظرا لكثرة العنصر اليهودي بها حتى أطلق عليها تسمية قدس شمال إفريقيا.

وقد كانت مهنة الطب متداولة بعناية في تلمسان خلال العهد الزياني ، و كان الأطباء و العلماء يقومون بتدريس العلوم الطبية ، و النظرية و العملية للطلبة، في بعض مساجد تلمسان و مدارسها، و في البيمارستان و التي تحتوي على كراسي لتدريس هذا العلم فقد كانت الكتب و الرسائل العلمية المجلوبة تؤدي للطلبة أنفع الخدمات و الحصول على يحتاجونه من مادة علمية و من أدوات البحث ، فالنصوص تشير الى وجود أكثر من ثلاثمائة عنوان لمصنفات الطب و الصيدلة في خزائن حواضر المغرب الأوسط خلال العهد الزياني . و قد برز خلال العهد الزياني بتلمسان أطباء اشتهروا في هذا المجال نذكر منهم:

- **أبو القاسم بن أبي القاسم الحكيم التلمساني :** نبغ في العلوم الطبية و الفقه و الخطابة و كان يؤم الناس في الصلاة، قربه السلطان أبو تاشفين الأول، و رعاه حتى صار طبيبه الخاص.

-أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي: كان على قيد الحياة ما بين (760-767هـ) من أهل تلمسان، كان جراحا ممتازا و هو من أسرة جل أفرادها علماء و أطباء ، قام بعملية جراحية لأمعاء السلطان أبي يعقوب المريني، و أخاط الجرح الذي أصابه في بطنه بالمنصورة أثناء حصاره لمدينة تلمسان، درس الطب، و زاول مهنته كطبيب محترف، عينه السلطان أبو حمو موسى الثاني طبيب البلاط، فضلا عن كونه شاعرا مميزا مدح السلطان في كثير من المناسبات و له قصائد و موشحات كثيرة في المولديات (المولد النبوي الشريف). [1]

1- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق ،ج5، ص 129-131/ عبدلي الأخضر ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، دكتوراه غير منشورة،جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2004-2005م، ص239.

- **محمد بن علي بن فشوش** : طبيب تلمساني ماهر زاول مهنته بكفاءة عالية و كان يدرس العلوم الطبية بمدارس تلمسان، درس على يديه العالم المصري الرحالة عبد الباسط بن خليل الذي زار تلمسان، للأخذ عن أطبائها و علمائها، و في هذا المجال يقول ‘‘ و لقينا بها (تلمسان) جماعة أخرى من الفضلاء و الأدباء و الأطباء منهم محمد بن علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان في المزاولة و الدراسة، و سمعت من فوائدهم و حضرت دروس بعضهم و نقلت عنه أشياء و أجازوني ...‘‘ (1)

- **موشي بن صمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي** : المتطبب المعروف بابن الأشقر، يعتبر من أشهر الأطباء و أمهرهم قدوة و حدقا في ميدان الطب، ولد بمالقة قبل سنة 820هـ/1418م، أخذ هذا العلم عن أبيه اشتهر بهذه الصنعة بالأندلس ثم انتقل الى تلمسان و حط رحاله بها، امتهن الطب و تدريسه للطلاب المهتمين به، فلازمه كثير منهم و توافدوا عليه من حواضر و أقطار مختلفة طلبا لهذا العلم من بينهم الرحالة عبد الباسط المصري الذي أخذ عن ابن فشوش.

إضافة إلى هؤلاء الأطباء نذكر أبو إسحاق بن أحمد التلمساني الثغري الطبيب ، ألف معجما صغيرا في الطب رتبه على حروف المعجم، و هو عبارة عن قائمة بأسماء الأعشاب و نحوها ، ومن الفقهاء الأطباء الفقيه أبي الفضل المشذالي التلمساني (ت 866هـ-1461م) الذي درس الطب على يد ابن فشوش ، و الفقيه الصالح محمد بن يوسف السنونسي (ت 895هـ-1491م) الذي ربط بين الدين و الطب مستعينا بالأحاديث النبوية في المجال الطبي فألف مصنفا في هذا الميدان أسماه ‘‘ شرح حديث المعدة بيت الداء و الحمية رأس الدواء ‘‘ و لهذا المصنف عدة عناوين أبرزها ‘‘ رسالة في الطب ‘‘ و ‘‘ تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية ‘‘ ، كما له تأليف آخر في ميدان الطب و هو كتاب ‘‘ مجريات في الطب‘‘ و شرح لأرجوزة ابن سينا في الطب و لم يكمله ، و ممن اشتهر أيضا أبو عبد الله المالقي المتطبب ،و الفقيه أبو الفضل محمد بن الامام الفقيه و الأديب و الشاعر الطبيب(2)

1- فيلالي عبد العزيز ، المرجع السابق، ص 119-121.

2- نفسه ، ص 121-123

أما من اليهود فبالإضافة إلى موشي بن صمويل الإسرائيلي نذكر يعقوب جابسو و ابراهام أنكوها (1359-1442م) ، و سيمون سيماح دوران. [1]

كما يجب أن لا ننسى دور الهجرة الأندلسية في دفع عجلة الحركة الفكرية و لا سيما الطب في بلاد المغرب عامة و بلاد المغرب الأوسط خاصة ، فمعظم الأطباء اليهود الذين ذكرناهم هم من مهاجري الأندلس ، كما كان هناك في نفس الوقت علماء و أطباء مسلمين جاؤوا من الأندلس إلى بلاد المغرب الإسلامي إما طلبا للعلم فيما يسمى بالرحلة العلمية أو استقروا بها فرارا من حكم و اضطهاد النصارى بعد اشتداد حركة الاسترداد و استيلائهم على العديد من الحواضر و المدن الأندلسية ، و قد لعب اهتمام سلاطين الزيانيين بالحركة العلمية دورا هاما في جذب و هجرة علماء العدوة الأندلسية إلى المغرب الأوسط و ما يجدر ذكره أن الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي لا ترجع إلى سنة 1492م، وإنما قبل هذا التاريخ بكثير ، و من بين أشهر الأطباء المهاجرين من الأندلس الى بلاد المغرب أحمد بن خالد الذي ولد بمالقة و توفي ببجاية سنة (600هـ-1179م) [2]

أما المحطة الثالثة ، فتمتد من نهاية القرن 15 م إلى بداية القرن 19 م عرفت فيها الجزائر ترسيم كيانها و حدودها وتكونت ما يعرف بالايالة الجزائرية .[3]

ولقد اتسمت هذه الفترة بتطورات سياسية و شهدت الجزائر توافد أجناس عديدة فتغيرت البنية الاجتماعية و العمرانية ، و ارتبطت الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و منها الصحية يبعضها البعض، فممارسة الطب و دراسة الوضع الصحي خلال هذه الفترة من الحكم العثماني تقتضي معرفة تلك الأوضاع لارتباطها.

فالمستوى المعيشي و الوضع الاقتصادي من غنى أو فقر ، و توفر الغذاء و السلع أو نذرتهما ، و ارتفاع أو انخفاض الأسعار و الدخل الفردي كان له الأثر على الوضع الصحي خاصة و السياسي و الاجتماعي عامة. فلقد جاء تكون الايالة نتيجة عوامل داخلية و خارجية

1- العرباوي عمر، المرجع السابق، ص183.
2- نفسه، ص 177.
3- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية ، المرجع السابق، ص 167

حيث أعقب سقوط الدولة الموحدية صراعات حادة كانت الجزائر مسرحا لها ، و نظريا كانت الدولة الزيانية تسيطر على القسم الغربي من المغرب الأوسط غير أنها كانت عرضة لغزوات بني مرين في المغرب الأقصى و بني حفص في تونس، و عانت كثيرا من ويلاتهما خاصة من بني مرين فانفصلت العديد من القبائل و ظهرت كيانات صغيرة مستقلة رفضت الخضوع لأي سلطة مركزية ، ومن التشكيلات السياسية المستقلة التي ظهرت في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة نذكر امارة بني جلاب في توقرت حيث كان يسود الفراغ السياسي منذ القرن 14 م ، يضاف اليها المدن الساحلية التي كانت تعيش نوعا من التبعية و الاستقلال الى غاية انفصال بجاية عن الحفصيين ، و تمرد وهران على بني زيان [1] ، كما شهدت هذه الفترة عامل آخر داخلي أدى الى تدهور الاستقرار السياسي و الأمني و هو عودة القبائل العربية الهلالية إلى عادتها القديمة المتمثلة في الغارة و قطع الطريق و النهب و السلب و فرض الإتاوات على المدن و القرى[2].

و يعطينا الحسن الوزان عدة أمثلة فيقول" ان عشيرة خراج كانت تحصل على اعانات مالية يتلقونها من ملك تلمسان الذي لا يكاد يفتر في الحرص على حملهم على ان يعيشوا عيشة مسالمة ، لأنهم لصوص يكادون يفتكون بكل من تصل اليه ايدهم " و يقول عن عشيرة أخرى " تسكن الهدج صحراء مجاورة لتلمسان تدعى انكاد , ليس لهم ممتلكات , و لا يعيشون الا على القتل و النهب " و يشير ايضا ان " امير ورقلة يؤدي لجيرانيه الاعراب خراجا مرتفعا و إن أهل ميزاب يؤدون الإتاوة إلى الأعراب و يخضعون لهم " [3].

ان هذه الأوضاع السياسية تذكرنا و لا تختلف كثيرا عن المحطة التاريخية القديمة لتكون الكيان الجزائري بعد سقوط السلطة الرومانية في القرن (5 م) و ظهور امارات مستقلة و اجتياح الوندال ثم البيزنطيين ما أدى إلى اضطراب سياسي تبعه تدني معيشي وصحي

1- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، دار الألمعية للنشر و التوزيع، قسنطينة، 2013، ص 16
2- نفسه، ص 18

3- الحسن الوزان .وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1983،ج2، ص 135.

و بالتالي فان هذه الحالة السياسية التي كان يعيشها المغرب الأوسط أو الجزائر، دفعت ببعض المؤرخين الى تسميتها بالفسيفساء السياسية [1].

و يعتبر التحرش الاسباني الذي أخذ طابعا دينيا بعد سقوط غرناطة سنة 1492 و هجرة الأندلسيين من العوامل الخارجية التي أدت في الأخير إلى التدخل العثماني في الجزائر. تلك هي المعادلة التي عاشتها الجزائر أواخر القرن 15 و مطلع القرن 16 م ، تفكك سياسي ، و افتقار الى سلطة مركزية و غزو أجنبي و انعدام للأمن داخليا و تراجع في الأوضاع الاقتصادية و المعيشية مما دفع بالأهالي لاستنجاد أهلها بالاخوة باربروس، اللذان تمكنا من فتح مدينة جيجل سنة 1514 ، و استقرا في مينائها الصغير، ثم توجها إلى مدينة الجزائر، بعدما اتصلت بهما عدة شخصيات بارزة " لإقناعهم و ترجيهم بالقدوم لتخليصهم من الاسبان[2] و بعد انتصار عروج و أخيه على حميد العبد شيخ سويد بتنس الذي كان خاضعا للأسبان ، جاءهما وفد من تلمسان يطلب منهما المساعدة و الحماية و لكن أبو حمو الثالث استنجد بحلفائه الأسبان، و حاصروا بابا عروج بتلمسان ثم هزموه و قتلوه سنة 1518.[3]

تولى بعد عروج رئاسة الجيوش العثمانية أخوه خير الدين، و لما كان في موقع ضعف، طلب المساعدة من السلطان العثماني سليم الأول " مقابل الاعتراف بسلطته و دفع ضريبة، أو ضمان زيادة قوة الأتراك في بلاد البربر. " فزوده السلطان بالرجال و العتاد الحربي و دخلت بذلك الجزائر تحت الحماية العثمانية[4] و بهذه الطريقة تكونت إيالة الجزائر و وضع اسس كيان سياسي موحد عاصمته مدينة الجزائر [5]

1- عباد صالح ، المرجع السابق، ص14

2- التميمي عبد الجليل ، رسالة أعيان الجزائر للسلطان سليم الأول 1517، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد 6، 1976، ص 119.

3- جاجيات عبد الحميد : خطر النصارى و انهيار الدولة الزيانية، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي)،ج 3 ص 456.

4- شوفالييه كورين : الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 – 1541،(تر: جمال حمادة) د م ج، الجزائر ، 1991 ، ص 38.

5- سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة: عبد القادر زبادية، ش، و،ن ت، الجزائر 1980، ص 36.

وعرفت إيالة الجزائر عدّة أشكال من أنظمة الحكم السياسية، عبر فترات تاريخية محددة:

-**الفتـرة الأولى:** هي فترة حكم البيلارباي أو باي البايات، و استمرت من 1518 إلى 1588، تميزت باستقرار الحكم التركي في الجزائرو الارتباط المباشر بمركز الخلافة العثمانية

-**الفتـرة الثانيـة:** و هي فترة حكم الباشاوات و التي امتدت من سنة 1588 إلى سنة 1659 و حددت مدّة حكم الباشا بثلاث سنوات.

-**الفتـرة الثالثة:** فترة حكم الأغاوات القصيرة، و تميزت بالفوضى و الاضطراب.

-**الفتـرة الرابعة:** فترة الدايات التي بدأت سنة 1671 و امتدت إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتميزت باستقلالها السياسي الفعلي عن سلطة الباب العالي.[1]

لقد تميزت هذه المحطة بانخفاض المستوى الثقافي بحكم الأزمات السياسية و الاجتماعية و عدم الاستقرار و تغيرت بنية المجتمع بظهور أزمات ديموغرافية و تفشي الأمراض و الأوبئة فاختل الوضع الصحي و أصبح الطب مرآة لعصره وانفتح المجال و ظهرت ممارسة الطب و كأنها مزيج من تقاليد فوجد الطبيب و المشعوذ و الطالب و الراقي و الحلاق الجراح و العشاب كل له رؤيته و خبرته و ما تحصله من علم أو ورثه من أجداده فظهر الطب التقليدي أو الطب الشعبي، وعرف الطب بعض الدخلاء على المهنة الذين استغلوا العامة يعرضون خدماتهم في الأسواق ، فامتهن الحلاق مهنة طبيب الأسنان و إمتهن بعضهم الختانة و البعض الآخر الحجامة و البعض الآخر الجبر و عمّت الخرافات و الاعتقادات خاصة في الصحة النفسية و أضحت مقابر الأولياء و الصالحين مقصد بعض الناس خاصة الذين كانوا يعانون من أمراض مزمنة استعصت على العلاج. *

1- فركوس صالح ، المرجع السابق ، ص 299.

* لم يكون الحال باحسن في اوروبا التي كانت تعانى من نفس الثقافة الطبية زيادة على استحواذ الكنيسة على السياسة الصحية في تسيير الوقاية و العلاج ، كما جميع البلاد التي خضعت للحكم العثماني عرفت ركودا علميا عامة و انخفاض مستوى الخدمات الصحية و التطبيب خاصة بحكم ان الدولة العثمانية كانت عسكرية بالدرجة الأولى.

الفصل الأول :

ممارسة الطب و الواقع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني

1- ممارسة الطب :

لدراسة الواقع الصحي و الممارسة الوقائية و الطبية في العهد العثماني في الجزائر، يجدر بنا العودة إلى التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري و توزعهم و التي لها الأثر المباشر على الوضع الصحي وعلى البيئة طالما أن الصحة و السكان مرتبطان[1] ، فقسم بعضهم المجتمع اعتمادا على العنصر العرقي ,عرفت في عدة دراسات بما يسمى بالفئات الاجتماعية، هي الأتراك, الكراغلة , العرب ، الأندلسيون ، اليهود و الزنوج و الأسرى الأوروبيين [2] .

غير أنه نرى أن تقسيم المجتمع الجزائري إلى عنصرين، هو أكثر ملاءمة لدراسة الوضع الصحي و الطبي :

العنصر الأول : البدو و هم سكان الريف.

العنصر الثاني : الحضر و هم سكان المدن.

سكان الريف يشكلون الأغلبية حوالي 90 % [3] و طبعا أنهم كانوا أساس الثروة و الاقتصاد، و بحكم ان معيشتهم البسيطة التي كانت ترتكز أساسا على الاقتصاد الفلاحي في السهول، و المعاشي في المرتفعات و الجبال، و ذلك لوعورة التضاريس و قساوة المناخ جعل الممارسة الطبية و الطرق الاستشفائية غير معقدة و بسيطة .

أما سكان المدن خلال العهد العثماني فقد شهدت بنيتهم تغيرا كبيرا جراء التطورات السياسية و الاقتصادية، و توافد أجناس جديدة كان لها تأثير على الأصعدة السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و الصحية ، فجاءوا و معهم أمراضهم بحكم أن المرض ليس له حدود .

---

[1]- إن العلوم السياسية الحديثة ترى أنه في إطار الحكم الراشد يجب أن تدمج الهيئة الوصية على الصحة مؤسسة تهتم بالسكان ، و نرى دائما في التسيير الاداري لكل ولاية مديرية الصحة و السكان.

[2]- محرز أمين. الجزائر في عهد الأغوات (1659- 1671) ، د ط ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر 2011، ص 14.

[3]- حمدان خوجة ، المرآة ، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص ص 10-11.

ولا يعرف عرق وجاءوا حتما بطرق تداويهم، و ظهرت في الجزائر أوبئة جديدة لم تكن معروفة من قبل انتقلت مع الوافدين الجدد، فعرفت الجزائر امتزاجا كبيرا و حقيقيا بتوافد هذه العناصر الجديدة. [1]

و نشأت بين الريف و المدينة حركية سكانية أفرزت فئات اجتماعية جديدة في المدن لعبت دور همزة الوصل بين الريف و المدينة عرفت عند الباحثين بفئة البرانية .[2]

و قد تطرق ابن خلدون الى ذلك في المقدمة عندما تحدث عن العمران الحضري و العمران البدوي و انعكاساتهما على الصحة ربط المستوى الصحي بثلاث عناصر هي البيئة و تلوثها ، الغذاء و نوعيته ، العمل الجسدي اليومي ، فاستخلص أن سكان البادية كانوا يتمتعون بصحة أفضل من المدن نظرا لنقاوة الهواء و جودة الغذاء و مداومة العمل [3].

فيمكننا بناء على ذلك الى تصنيف الطب في تلك الفترة حسب ميول كل فئة من السكان إلى تقاليد استشفائية و وقائية و ممارسة الطب حسب اعتقاداتها و بيئتها و موروثها الاجتماعي. ومن هنا وجد ثلاث أنواع من الطب كما يرى الاستاذ خياط هي [4]

الطب الشعبي : و هو الطب التقليدي.

الطب الأوروبي : الذي ظهر مع الأسرى و الأعلاج .

طب الأتراك : الذي مارسه الجنود الأتراك .

و الملاحظ أن الطب الشعبي كان أكثر انتشارا في الريف و مارسته بعض الفئات الاجتماعية من سكان المدن . أما الطب الأوروبي و طب الأتراك فكان أكثر ممارسة في المدن .

---

[1]- شويتام ارزقي، المرجع السابق .ص 75 .

[2]- محرز امين ، المرجع السابق ، ص ص 152-157.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس خليل شحادة و مراجعة سهيل زكار ، دط ، دار الفكر ، بيروت ، 2001، ج1 ، ص ص 46-54.

[4] - khiati Mostéfa,op cit .p 79

1-1 - الطب الشعبي و أبرز الأطباء المحليين

و هو ما يعرف بالطب التقليدي حاليا، كان أكثر انتشارا خاصة في البادية التي كانت تضم أغلبية السكان حسب ما أورده حمدان خوجة، و إن الطب الشعبي يعكس لنا الموروث الاجتماعي لعادات توارثتها الأجيال عبر العصور، و لذا كانت ممارسة الطب الشعبي و الطرق الاستشفائية بسيطة غير معقدة تعتمد خاصة على النباتات التي توجد في المنطقة مما يوحي لنا أن طريقة اكتساب الخبرة و المعرفة كانت متوارثة عبر الأجيال، و هذا ما أكده هيلتون سيمبسون حين قال إن مهنة الطب يرثها الابن عن أبيه أو جده [1] و كانت غير مدونة أكثرها شفهية [2] و إن بعض العائلات تخصصت و اشتهرت في مجال معين من الطب و توارثته كالجراحة و الحجامة و الختان و الجبر، (لقد كانت منطقة شرشار في الأوراس معروفة بالتربنة). إن الطبيب كان يمارس مهنته للاسترزاق في الأسواق الأسبوعية، فكان يعرض خدماته داخل آو خارج خيمة ينصــبها [3] ، بعضهم اكتسب خبرة و كانت له شهرة واسعة يؤمه الكثير من الناس من مناطق مختلفة ، لقد كان التكوين المعرفي للطبيب يقوم على ما تلقاه من محيطه أو ما ورثه من نصائح عن أجداده و ما تعلمه في دراسته الدينية من القرآن و أحاديث الرسول (ص).

كان الطب الشعبي يعتمد أساسا على الطب النبوي بما احتواه من توجيهات وقائية و علاج و كان بعضهم يزيد في تكوينه مزاولة و دراسة كتب ابن سينا و الرازي ، و منهم من سافر خاصة إلى الحجاز و احتك بأطباء آخرين و زادت معرفته و كبرت شهرته . يقول هيلتون سيمبسون عندما كان في منطقة الاوراس و سأل الممارسين المحليين الأطباء عن رصيدهم التكويني و مصادر علمهم فكانت الأجوبة متفاوتة فمنهم من كان يجهل ولم يتناول كتابا واحدا و انما أخذ معـارفه المهنية بالتجربة، و منهم مـن أجابه بأن الكتب الطبية مملـوؤة

---

[1] - Hilton simpson .Arab medecine and surgery. A study of the healing art in algeria.ed. london oxford university press.1922 ,p7.

[2] - ibid,p8.

[3]- abid Larbi, op cit, p09

بالأخطاء و لا قيمة لها و لا داعي لمطالعتها ، و منهم من أجابوه بأنهم يعتمدون على الكتب التالية:

- كتاب السيوطي
- كتاب الحاج التلمساني
- كتاب محمد بن حاج الكبير
- كتاب ابن البيطار
- كتاب الامام السويدي
- كتاب أبي النصر المعروف بكوهن العطار
- كتاب داود الأنطاكي
- كتاب كشف الرموز لعبد الرزاق ابن حمادوش[1]

و يزيد لامارك و يقول عن شيوع مصنف يحمل اسم حارونية الذي هو عبارة عن بحث حول الخصائص العلاجية للنباتات .[2]

تفاوت شهرة و خبرة و قيمة الخدمات من طبيب إلى أخر حسب رصيد كل واحد التكويني والمعرفي فيمكننا ان نقول انه كان هناك مستخدمي أو متعاملي الصحة أو متطببين , فانفتح المجال في غياب قوانين لضبط المهنة , فوجد في تلك الفترة : الطبيب ، الحكيم ، الجراح ، القابلة ، الخبير، الطالب ، طبيب العيون ، حكيم الصفرة، طبيب الأضراس، الحجام، الختان، الكياس .[3] و كان المرابطون يعتبرون أطباء شافون ، لمداواة الأمراض ، اما بالأعشاب أو بوضع اليد على الرأس[4] يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله عن حالة الطب في الجزائر خلال العهد العثماني و بخاصة الطب الشعبي " كانت العناية بالعلوم الطبية أكبر من العناية بالعلوم الأخرى ما عدا الفلك خلال العهد العثماني . ذلك أن الانسان كان في حاجة الى

---

[1] - Hilton simpson , op.cit , p9.

[2] - Lamarque L . recherches historiques sur la médecine dans la régence d'Alger ; Alger .imp .Baconnier.1951 , p .49.

[3] - abid, Larbi op cit, p8

[4] - Aboubekr abdesselam benchoaib , "Les marabouts guerisseurs", revue africaine , N°51 ,1907,p253

المعالجة ، سواء كان في أعلى مكان أو أدناه . حقا أن الايمان بالقضاء و القدر كان مسيطرا في هذا الميدان على العقول بصفة عام و لكن بعض الناس كانوا يؤمنون بالعلاج و التداوي و اتخاذ الوسائل و الأسباب للمحافظة على الصحة ، و هم أولئك المؤمنون بالحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه و سلم : ((العلم علمان ، علم الأديان و علم الأبدان)). و لذلك وجدنا بعض التآليف و الرسائل و الأراجيز في علم الطب و فروعة ، و وجدنا عددا من المتطببين أيضا . و مع ذلك فان الخرافة قد اختلطت بالطب في معظم الأحيان . فالعامة كانت تؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة أو بتعليق تميمة ، أو بزيارة ولي ، كما أن النسوة كن يؤمن ببعض الأسباب غير الطبية للبرء من العقم و حفظ الولاء بين الزوجين ، و نحو ذلك و معظم الأدوية الشائعة كانت تتناول الجانب الخارجي من جسم الانسان . فالجراحة و نحوها كانت شبه معدومة و تنحصر في العمليات البسيطة. و كلمة حكيم كانت هي الشائعة عند الناس ، و كان الطبيب محل احترام و تبجيل .و كان بعض العلماء و أشباههم يركبون الأدوية من النباتات المتوفرة في البلاد و يصنعون المعاجين و الأشربة و يستعملون وسائل الكي و الحجامة ، و نحو ذلك . و قد وضعوا مجموعة من الوصفات للتغلب على بعض الأمراض الشائعة كوجع الرأس و المعدة و الحروق و الاصابات الجلدية و ضعف الأعضاء التناسلية و وجع المفاصل و غيرها . كما نجدهم قد عينوا أدوية خاصة للتغلب على السموم و التأثيرات الخارجية الأخرى كالاصابة من حرارة الشمس . "[1]

ان التداوي في الطب الشعبي كان في أغلب الأحيان يتناول الجانب السطحي من جسم الانسان مما غلبت عليه البساطة فمثلا كانوا يتغلبون على الحمى بنبات الشندقورة و التورم بالحناء.[2]

و نحن نجد في كشف الرموز لابن حمادوش و بعض مؤلفات أحمد البوني نماذج حية عن ذلك . و الغريب أنه بالرغم من تقدم علم الطب في تاريخ الحضارة الاسلامية و اشتغال علماء

1- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ،ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998 ،ج2، ص ص 416-417.

2 - SHAW.t , dr shaw . voyage dans la regence d'alger , traduit de l'anglais par J.mac carthy , 2éme edition .tunis : 1980, p57

المسلمين بالجراحة و الصيدلة فان أهل الجزائر بمن في ذلك علماؤهم ، كانوا يؤمنون بأن الطب مقصور على الأوروبيين".[1]

- أبرز الاطباء المحليين :

إن اهتمام الجزائريين بالعلوم الطبية لم يكن مقصورا على مطالعة التراث العربي في هذا الميدان، بل إنهم ألفوا فيه أيضا، ذلك أن العلماء في هذه الفترة كانوا يجمعون بين العلوم الشرعية و العلوم الطبية، كما جعلوا من معرفة الطب نصف العلم [2] و يمكن ان نذكر بعض الاطباء الذين اشتهروا في تلك الفترة :

- **محمد بن سليمان بن الصايم التلمساني:**

و يشتهر بلقب الجازولي كذلك ، كان بقيد الحياة سنة 1068هـ ، طبيب تلمساني كان تلميذا لابن مريم صاحب كتاب البستان ، ترك موسوعة في التصوف و نظما في الأوزان الطبية.

- **محمد بن أحمد الشريف الحسني :**

عاش بتلمسان ، و كان ذو ميول صوفية لكنه أولى اهتماما بالطب ، حيث ألف رسالة فيه تتكون من ثلاثة عشر صفحة سنة 1149 هـ شرح فيها الحديث المتعلق بالحماية من الأوبئة و أهداها بنفسه إلى السلطان العثماني أحمد باشا في 1149 هـ . [3]

- **عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني المشهور بسيدي بلال :**

جمع بين التصوف و علوم العصر و منها الطب . و من بين كتاباته مخطوط من 118 صفحة موجود بمكتبة باريس تحت رقم 4758 بعنوان **" ذهاب الكسوف و نفي الظلمة في علم الطب و الطبائع و الحكمة "**، قسم هذا المخطوط الى 70 فصلا كل فصل يختص بموضوع و قد تحدث فيه مجملا عن الطبيعة و عناصرها ، العلم و الحكمة، العلم و طب

---

[1]- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ، المرجع السابق ، ص417

[2]- نفسه،ص417.

[3] - khiati, op.cit, p 115

التوليد، وقد خصص الفصل الأخير لوصف المعدة و أمراضها و علاجاتها و خصص لكل مرض علاجه، توفي سيدي بلال سنة 1204 هـ.

- **نور الدين بن نصر الدين الشافعي المكي :**

اشتهر بـأحد مؤلفاته الطبية وجد بقسنطينة تحت عنوان **'' تحفة الإيمان''** ، تحدث فيه عن المرض الذي أصاب العرب نتيجة عدوى الفرنسيين سنة 807 هـ/ 1404 م و الذي يمكن أن يكون مرض الجذري و تعرض أيضا في كتابه هذا إلى مجموعة من الأدوية منها الزئبق و جذور نباتات مدرة للعرق.

- **أحمد بن قاسم بن ساسي التميمي البوني (أبو العباس) :**

ولد بعنابة سنة 1063 و توفي بها أيضا سنة 1139 وله عدة تأليف ذكرها في اجازته و يعتبر في الجزائر من أهل الرأي و الصلاح والعلم [1] و هو من أبرز مرابطي و فقهاء القرن الحادي عشر الهجري في عنابة و كان ممن أولوا عناية و كتبوا في الطب ، ولد بعنابة أين ترعرع و درس ثم قام برحلة إلى المشرق فزار مكة و مصر للحج و طلب العلم ثم عاد إلى عنابة للتدريس و من أبرز تلامذته عبد القادر الراشدي القسنطيني، و قد خلف البوني أكثر من خمسة و أربعين مؤلفا في مختلف المجالات. و كان يجمع بين الطب و الروحانيات في أعماله الطبية ، إذ كتب سنة 1116 هـ **'' إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة''** ، لم يعثر إلا على جزء من هذا المؤلف الذي يذكر فيه صاحبه أمراض العيون و الأذن و الأنف و الأسنان و الفم و السعال و السل كما تحدث فيه عن أمراض الرحم و أدوية الباه و حفظ الأجنة و تكلم عن الأدوية و المسمنة و الحمى و لدغات الحيات و أشهى أنواع اللحم و نحو ذلك و هو يصف الداء و الدواء كما له تأليف آخر موسوم بـ **'' مبين المسارب في الأكل و الطب مع المشارب''** في شكل نظم في آخر حياته سنة 1132 هـ و هو عبارة عن موسوعة صغيرة حول الأدوية و طرق العلاج و مختلف المأكولات و المشروبات قسمها الى فصول و وضعه نظما في آخر حياته و يحتوي على أكثر من ألفي بيت و قد بدأ نظمه بداية تقليدية مبينا أن دافعه هو الحديث القائل بأن الطب نصف العلم و مما جاء فيه:

يقـول أحمـد الفقيــر البـونـي هـو ابن قـاسم الرضـــى المصـون

---

[1]- سعدالله أبو القاسم . أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر . القسم الأول ، ط 2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981 . ص182.

الحمـد لله الذي أبـــــــاحـا الطـيبـات زادنـــا أربـــــــــاحا

جاعـل علم الطب نصف العلم كمـا أتـى عـن النبي نـصف الحلــــم

و قد أكـــرر كـــاهل الفـــــن زيـــادة في النـــفـع دون مــــــن[1]

و من كتاباته أيضا ملخص لكتاب " تذكرة داوود الأنطاكي"، و **"اتحاف الألباء بأدوية الأطباء"** ، و **" منظومة حول منافع الثوم"** و كان أيضا فقيها من أقطاب المالكية ، عالم بالحديث، أخذ بمصر عن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني(ت.1199هـ/1688م) و أبي زكريا يحي بن محمد الشاوي الملياني، بعد عودته من الحج و تصدره للإقراء بالأزهر، و غيرهما و لما عاد إلى الجزائر أخذ عنه جماعة من العلماء منهم عبد القادر الراشدي القسنطيني و غيره. [2]

- **سعيد بن أحمد المقري:**

فقيه وعالم تلمسان في وقته، و مفتيها (كان على قيد الحياة سنة 1011هـ - 1603م) و هو طبيب، أيضا ولد بتلمسان في حدود سنة 928هـ ، كان مفتيا بالجامع الكبير بها، اشتهر في فن الطب و الجراحة ، و هو عم صاحب نفح الطيب ، أخذ عن والده و عن عبد الواحد الونشريسي و غيرهما، أخذ عنه ابن أخيه صاحب النفح و ابن مريم صاحب البستان و ابن القاضي صاحب ذرة الحجال. و في تاريخ وفاته خلاف فقال اليفراني سنة 1010هـ - 1602م،أما ليفي بروفنسال فقال سنة 1030هـ، بينما المقري و ابن مريم فانهما يتفقان بأنه كان على قيد الحياة سنة 1011هـ و هما المعاصران له و ما يؤكد على ذلك هو رسالة تلقاها صاحب نفح الطيب من محمد الوجدي سنة 1011هـ يطلب منه فيها أن يسلم على عمه سعيد [3]

- **عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري :**

---

[1]- بن رمضان شاوش محمد و بن حمدان الغوثي ، ارشاد الحائر الى آثار أدباء الجزائر ، دط ، دم ، دت ، مج2، ص ص 451 – 452.

[2] - نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت- لبنان، 1400هـ - 1980م، ص 49 / khiati, op.cit, p 116-117

[3]- نويهض عادل ، المرجع السابق، ص 311- 312 .

khiati, op.cit, p 115

هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري ، عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر ميلادي)، ولد بمدينة الجزائر سنة 1107هـ/1695م، وأتم تعليمه الأول بها ، كما حصل قدراً من العلوم الشرعية كمعاصريه قراءة وإجازة، في علم الفقه والنحو والصرف والأدب والتاريخ، غير أنه انفرد عنهم بتخصصه في الجانب العلمي كدراسة العلوم الطبية والرياضية (فقد درس لابن سينا، وإقليدس والقلصادي وغيرهم من علماء المسلمين واليونان)، فأصبح صيدلياً وطبيباً. ولهذه الميول العلمية التي ميزته، جعلت مؤلفاته يغلب عليها ذلك الطابع المخالف لما شاع عند معاصريه، ومن بين ما ألفه في هذا الشأن: تأليف في الأعشاب (كشف الرموز) المطبوع، الإسطرلاب والسبع المقنطر، الجوهر المكنون في الطب[1] و قد قال عنه لوسيان لوكليرك أنه آخر من مثل الطب العربي.[2]

2-1 - الطب الاوروبي و أبرز الأطباء الأوروبيين:

لم تقتصر الممارسة الطبية في الجزائر خلال العهد العثماني على العنصر المحلي فقط ، و إنما شملت العنصر الأوروبي ، و بالتالي فالصلات لم تشتمل على الحروب و التجارة و انتقال الأمراض و إنما امتدت إلى الخدمات الصحية . إن وجود الأطباء الأوروبيين في الجزائر يعود إلى ما قبل مجيء الأتراك إلا أن عددهم زاد خلال العهد العثماني و زادت مكانتهم عند العامة و المسؤولين، فقد اكتسبوا احترام و تقدير الجميع ، فكان منهم من جاء بدافع فضولي، أو بحثا عن الثروة، أو في إطار بعثة علمية، أو أسير في عملية القرصنة، أو التحق كطبيب موظف بشركة أو مؤسسة أوروبية.

ويمكن أن نحصر وجودهم في الأسباب الآتية :

- انفتاح المجتمع و تسامحه
- تراجع مستوى الخدمات العلاجية

1- ابن حمادوش ، رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال ، تقديم و تحقيق و تعليق تحقيق ابو القاسم سعد الله ، دط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1983 ، ص ص 9-10

2 - leclerc lucien , op.cit, tome 2, p 310.

- تواجدهم لأغراض تجارية أو أخرى مثل الجوسسة

- عملية الأسر و الرحلة

و بالتالي باستطاعتنا أن نصنف الأطباء الأوروبيون بالجزائر إلى أربعة أصناف:

- الأطباء الأحرار الذين كانوا يدخلون في خدمة كبار المسؤولين بالجزائر
- الأطباء الموظفين بالمؤسسات و الشركات الأوروبية بالجزائر
- الأطباء الرحالة الذين كانوا يزورون الجزائر لأغراض علمية
- الأطباء الأوروبيون الأسرى بالجزائر.[1]

و ما يجب ذكره انه عند مجيء العثمانيين في بداية القرن 16 م ، اقتصر وجود الأطباء الأوروبيين بدافع الوقوف على خدمة الأسرى التي رأى بعض الملاحظين الأجانب تدني أوضاعهم الصحية ، فقامت بعض الهيئات الدينية بجلب أطباء أوروبيين و تشجيعهم، و إنشاء مستشفيات لإيوائهم و علاجهم، و أبرمت اتفاقيات مثل ميثاق مستشفيات الجزائر. و أورد ناصر الدين سعيدوني أن الخدمات الصحية للفئة الأوروبية كانت في بعض المصحات و ملاجئ العجزة، و مستشفيات رجال الدين، التي كانت تعرف بالمارستانات، مثل المارستان العام الذي أنشأه الأب الاسباني سيبستيان دو بور في سنة 1551، و الذي يعد أول مستشفى مسيحي بالجزائر.

و قد اكتسب الأطباء الأوروبيون احتراما و تقديرا كبيرا لدى الجزائريين لكفاءتهم كما أكده بعض الرحالة مثل هابنسترايت الذي قال بان الجزائريين يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى و يدعونهم بالعلماء، و ذلك تعبيرا عن التقدير الخاص الذي يحضون به لديهم[2] و أورد ابن حمدان خوجة علي عندما رافق والده في رحلته إلى قسنطينة أنه في طريقهما حلا في منطقة البيبان عند الشيخ المدعو المشلول و أنهما التقيا بأخي الشيخ الذي كان مريضا بالرعشة و طلب منهما إن كانا يعرفا طبيبا فرنسيا يستطيع معالجته، و انه سيعطيه

---

[1]- لزغم فوزية ، الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني ، عصور ، جامعة وهران ، عدد 21 ، جويلية – ديسمبر 2013 ، ص240 .

[2]- نفسه ،ص238.

بقدر ما يريد له الله من الثراء[1] مما يوحي لنا الاحترام و الثقة التي كان يكنها الجزائريون للأطباء الأوروبيين، و كانوا يغدقون عليهم بالأموال الطائلة و الهدايا القيمة . و من أبرز الأمثلة على اهتمام الأتراك بالطب الأوروبي بالجزائر خلال العهد العثماني ما ذكره الرحالة و الطبيب و عالم النبات الألماني ج . أو .هابنسترايت في مؤلفه الذي هو مذكرات رحلته إلى المغرب العربي قائلا : ((.... بل أصبحنا محل تقدير لكوننا أجانب و لأننا نمتهن حرفة الطب أو التداوي بالأعشاب ، فقد اعتادوا على تسميتنا بالباربيرو ، و مرد ذلك أنهم كانوا يروننا في أغلب الأحيان نحمل في أيدينا زهورا و نباتات ، و هذا يعتبر في حد ذاته أحسن وسيلة لضمان سلامتنا . لم تكن جهودي في إخفاء كوني طبيبا ذات جدوى ، فقد اعتقدت أنه من الخطأ بل من المضر لمشاريعي في البحث أن أرفض وصف الأدوية لبعض كبار الشخصيات و خاصة الآغا ، و هو ابن الداي الذي عرف المفعول الجيد للوصفات التي كنت أقوم بتحضيرها ، فقدم لي هدية في شكل لبوءة و قنفذين صغيرين ...)) [2]

-أشهر الأطباء الأوروبيين بالجزائر خلال العهد العثماني :

<u>أ/ أطباء حلوا بمدينة الجزائر و اشتغلوا فيها :</u>

- **شعبان (chaban) :**

جراح من أصل جنوي ، أسلم و أصبح يحمل اسم شعبان ، اشتغل طبيبا في مدينة الجزائر حوالي سنة 1579م [3]

- **سليمان (soliman):**

---

[1]- دو سولسي فيليسيان ، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر الى قسنطينة عبر المناطق الجبلية ، تقديم و ترجمة على تابليت، منشورات ثالة، لبيار- الجزائر، 2008. ص24.

[2]- ج . أو . هابنسترايت ، رحلة العالم الألماني : ج . أو . هابنسترايت الى الجزائر و تونس و طرابلس (1145 ه -1732 م) ، ترجمة و تقديم و تعليق ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الاسلامي ، دط ، تونس ، دت ، ص ص 23-24

[3]- Diego de haedo , topographie et histoire générale d'alger ,Revue Africaine ,n 15, année 1871,p 225.

طبيب فرنسي أسلم أيضا و حمل اسم سليمان و أصبح يرتدي اللباس الاسلامي ، خريج كلية الطب بجامعة ريمس ، فتح عيادة في مدينة الجزائر و اشتغل في الفترة ما بين 1641-1647م. [(1)]

- **روبرت هيروسم دوريول(robert hiérosme d'oriole):**

طبيب و جراح من مواليد مدينة تيريز (فرنسا) ، أقام في مدينة الجزائر في الفترة ما بين 1689-1697م صدر في حقه حكم الإعدام بالجزائر يوم 25 جوان 1697م بعد وفاة مريض تركي كان قد أجرى له عملية في العين لازالة البياض، لكن بعد دفع الدية التي قدرت ب 15 باتاك* رفعت عنه العقوبة بعد تدخل القنصل الفرنسي روني لومار [(2)]

- **مونييه فرانسوا :**

جراح أقام بمدينة الجزائر من سنة 1717 إلى سنة 1725م [(3)]

1- كريست شارل :

جراح طولوني اشتغل بمدينة الجزائر بالمستشفى الاسباني من 1753 إلى 1755 م و كان مستوردا للكحول و الأدوية في نفس الوقت من مرسيليا ، ثم تحول إلى رجل أعمال و تجارة متخليا عن مهنة الطب [(4)]

- **موران فرانسوا :**

طبيب و رجل أعمال، أقام بمدينة الجزائر من 1815 إلى 1817 ، بعدها انتقل إلى مدينة

---

[1] -khiati, op.cit, p127

* Pataque، أو البدقة شيك و التي تعني باللغة التركية الدرهم الأبيض:

Merouche Lemnouar , recherches sur l'algerie à l'époque ottomane , monnaies prix et revenus , 1520- 1830 ,edition bouchene , paris 2002 , p39.

[2] - devoult albert, un medecin condamné à mort pour avoir laisser mourir un malade, Revue Africaine,n 16, année 1872, ed opu , Alger, p472/ khiati,op.cit,pp127-128.

[3] - khiati,op.cit,p128.
[4] - ibid,p128.

عنابة ليشتغل تاجرا توفي سنة 1822م . [1]

كل الأطباء الذين ذكرناهم أغلبهم فرنسيين لكن كان هناك أطباء من أصول اسبانية كانت تبعثهم سلطة مدريد لمزاولة عملهم في المستشفيات المسيحية الموجودة في الجزائر لمدة عامين و قبل إرسالهم إلى الجزائر لمزاولة الطب كانوا يجتازون امتحانا يزكيهم يشرف عليه التنظيم الثالوث الأقدس لافتداء الأسرى ومن بين هؤلاء الأطباء نذكر **اليخاندرو سان ميلان** (1757-1765) ، **مانويل انطونيو سواريز** (1769) ، **فليكس انطونيو موراليس** (1776-1778)، **سبريانو كانادا** (1778) [2]

و كان هناك أطباء من أصول أخرى من انجلترا ، هولندا و الدانمارك مثل البريطاني **بوين** الذي مكث حتى بعد استيلاء الفرنسـيين على الجزائر و دخل في خدمة الفرنسيين الذين عينـوه مسؤولا عن مستشفى باب عزون و لم يغادره إلى في سنة 1836، و تشير بعض المصادر أنه كان طبيبا شخصي للداي إلا أن مصطفى خياطي يفند ذلك [3] إضافة إلى أطباء ذوي أصول ايطالية مثل **مارتينانغو** الذي حل بالجزائر سنة 1803و يعد الأول الذي استخدم التلقيح ضد مرض الجدري مع الطبيب الفرنسي **أودراس** [4]

كما يعتبر **مياردي** الذي ترجع أصوله الى شمال ايطاليا و الذي جاء إلى الجزائر سنة 1826 من مشاهير الأطباء الايطاليين بالجزائر حيث اشتغل بقنصلية سردينيا و مكث حتى سنة 1835 و عمل في إحدى المصحات و كان يتقاضى أجرا يسيرا و حسب برتراند (رئيس أطباء الحملة الفرنسية على الجزائر) أنه كان يقوم بأعمال خيرية فكان يعاين المرضى مجانا [5].

---

[1] - khiati,op cit , p128.
[2] - ibid,p128
[3] - ibid,p129
[4] - Raynaud .l .hygiène et pathologie .T1 p 66.
[5] - khiati,op.cit,p129

أما الطبيب الايطالي الثالث فهو **أسانتي** القادم من نفس المنطقة التي جاء منها مياردي (بيدمونت – شمال ايطاليا) و هناك تضارب في الآراء حوله فهناك من يقول أنه طرد من الجزائر بتاريخ 1817/12/02م ، بينما فريق آخر يقول أنه دخل في خدمة الداي [1]

ب/ الأطباء الأسرى في الجزائر خلال العهد العثماني :

لقد كان الأطباء دائما من بين العناصر التي كان البحارة الجزائريون يقومون بأسرها أثناء اعتراضهم و مهاجمتهم للسفن الأوروبية ، فكان يتم بيعهم أو افتداؤهم بثمن معتبر ، و ذلك ما أكده هابنسترايت في قوله " تشكل تجارة الأسرى المسيحيين أحد مصادر الدخل الرئيسية ، فكل أسير له قيمة محددة حسب مكانته .... " [2]

- **ميلشيور غيلاندين (melchior guillandin):**

أستاذ الطب بجامعة بادو (ايطاليا) ، ألقي عليه القبض في البحر بعد عودته من جزر الهند مكث بالجزائر من 1557-1561 ، ثم عاد الى ايطاليا حيث عين مسؤولا عن حديقة نباتات بمدينة بادو. [3]

- **مانويل موريللو :**

طبيب اسباني من مدينة ماربيلا ، أسر من طرف البحرية الجزائرية سنة 1649م ، اشتغل طبيبا في الجزائر مدة ثلاث عشرة سنة ثم نال حريته و عاد إلى بلاده مكافأة له بعد تقديمه لخدمات جليلة حينما ضرب الطاعون مدينة الجزائر. [4]

- **صانسون :**

طبيب هولندي كان في خدمة الباي حسين بوكمية ، باي قسنطينة في 1125هـ / 1713، و قد رافق الطبيب شاو في زيارتها لقسنطينة. [5]

---

[1] - khiati. ibid,p130

[2] - لزغم فوزية ، المرجع السابق ، ص 254

[3] -de grammont h.d et piesse.l ,description d'un manuscrit du père Dan, Revue africaine, N°27, 1883 , p 20.

[4] -- Khiati, op.cit, p 123.

[5] --. ibid ,p124.

- **باسكال غاميزو (pascal gamisot) :**

طبيب ايطالي كان في خدمة صالح باي ، باي قسنطينة في 1185هـ / 1771 م ، اشتراه أحد الرياس بألف محبوب* سنة 1195هـ/ 1780م ، و هي تعادل حوالي 4000 فرنك ، و كان هذا الأخير على متن مركب حربي نابوليتاني عندما وقع أسيرا في شوال 1191هـ / 1777 م ضمن أسرى الحاج محمد الإسلامي رايس [(1)]

- **سانشيز :**

جراح اسباني اشتغل بمستشفى مدينة الجزائر في 1768 م ، و كان يرافقه ابنه ذو الاثنتي عشرة سنة ، كان يقوم بتشريح ضحايا الطاعون لاكتشاف المرض و أسبابه و محاولة إيجاد علاج له . [(2)]

- **أندر هيل :**

ذكره جون.ب.وولف القنصل الأمريكي في الجزائر ، يقول عنه أنه وجد بالجزائر أواخر القرن الثامن عشر و لم يمنعه أسره من التطبيب و تقديم العلاج ، و هو الذي أورد بعض المعلومات حول المنشآت المائية في الجزائر، و الإنارة، و الحياة اليومية كالمقاهي، و الحمامات و هو من الأسرى الذين زاولوا مهنتهم بالرغم من الأسر، و تمكنوا من جمع أموال طائلة مكنتهم من فداء أنفسهم ، و يرجع الفضل في نيل حريته لعلاجه ابن تاجر يهودي غني الذي أعطاه أموالا كبيرة لقاء علاجه. [(3)]

- **سيمون بفايفر :**

---

*عملة ذهبية كانت متداولة بالجزائر خلال العهد العثماني ، كانت قيمتها الأصلية تساوي ثلاثة بوجو و ثلث ، و في وقت لاحق و حتى اليوم تقدر قيمته بخمسة بوجو : سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي الجزائري أواخر العهد العثماني(1792-1830)، ط3، البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص323.

[1]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 424 .

De voulx Albert, Tachrifat.Alger :imprimerie de gouvernement,1852,p 90.

[2] - Khiati, op.cit, p 124.

[3]- جون وولف ، الجزائر و أوربا 1500-1830 ، ترجمة و تعليق أبو القاسم سعد الله ، ط خ ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص 148 ، 168 ، 210.

أسير ألماني كان في خدمة الخزناجي (وزير مالية) الداي حسين كطباخ لمدة سنتين ، و بعد إظهار مهاراته كطبيب جعله الوزير طبيبا خاصا له، له كتاب " مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر " و قد ظل أسيرا بالجزائر (منذ 1825 م) لمدة 5 سنوات ، و كانت مهمته كطبيب تتمثل في معالجة الوزير و غيره من أفراد القصر إذا أصيبوا بمرض، و كان الداي حسين الذي لم يكن له طبيب خاص يستشيره إما بواسطة الوزير أو بواسطة أحد خدامه كلما حلت به وعكة إلى أن تعرف إليه شخصيا ، و صارت له مكانة مرموقة في القصر فأصبح يلبس الملابس الفاخرة و يأكل المأكولات اللذيذة ، و صار له خادمان كما تم إحضار صيدلية صغيرة و آلات جراحة له من باريس، إلا الكتب فانه تعذر توفيرها و قد ألح في طلبها من الوزير و لكن الوزير أخبره أنه يستطيع أن يوفر له كتبا في الطب باللغة الفارسية و التركية و العربية كما أرسل له معلما ليلقنه العربية و التركية ، و قد تجاوزت مهامه الطبية القصر فبعث إلى الثكنات العسكرية أثناء الاحتلال لعلاج المرضى و الجرحى و المصابين، و أطلق سراحه خلال هذه الفترة. (1)

و نذكر من الأطباء الأسرى أيضا الاسباني خواكينو أنطونيو داكيوطو و الجراح جوسيفو دوس سارتوا أربتيو اللذان أسرا من طرف الرايس حميدو سنة 1803م و الجراح جورجي زانكاري الذي أسر من طرف علي رايس سنة 1797م (2)

ج/ أطباء أوروبيون أحرار :(تواجدوا في الجزائر اما لمزاولة مهنة الطب أو لمهام أخرى)

لقد كان هذا الصنف من الأطباء الأوروبيين قد دخل في خدمة كبار رجال الدولة مقابل مبالغ مالية طائلة و من أبرز هؤلاء :

- **جان جي :**

كان هذا الطبيب في خدمة صالح باي باي قسنطينة (3) ، حيث رافقه في شهر ماي سنة

[1]- فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص 246-248.

[2]- khiati,op.cit,p126.

[3]-عينه الداي محمد باشا على قسنطينة سنة 1771 ، و ظل بها إلى أن عزل عنها بعد وفاة الداي سنة 1792 م ، و كان من جملة أطبائه أيضا طبيب ايطالي أسير من نابلي : أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 م ، دط ، دار البصائر ، الجزائر ، 2008 ،ص 162.

1788م إلى الجزائر لتسليم الدنوش إلى الداي ، و قد كان طبيبا مسيحيا حرا و هو قريب مونص جيمون أحد كبار التجار الفرنسيين و ظل في خدمة الباي مدة تسع سنوات ، حيث كان ينال مبالغ مالية طائلة ، كما كان في نفس الوقت يتمتع بحضوة عند الداي .

إضافة إلى هذا الصنف من الأطباء الأحرار كان هناك صنف آخر و هو الأطباء الموظفون بالمؤسسات الأوروبية بالجزائر سواء كانت هذه المؤسسات دينية كالمستشفيات الأوروبية أو سياسية كالقنصليات و السفارات أو مؤسسات اقتصادية و تجارية كالباستيون الفرنسي بالقالة [1]

- **هابنسترايت :**

طبيب ألماني جاء في مهمة علمية و اتخذه الداي طبيبا خاصا على الرغم من قصر المدة التي قضاها في الجزائر و التي لم تتجاوز عشرة أشهر و التي قضى جلها خارج الجزائر و قد أغدق عليه الداي عبدي باشا 1724-1732 بأموال طائلة تقدر بثلاث أكياس من النقود من صنف القروش مقابل خدماته له و لابنه آغا العرب .[2]

و يمكن ان ندرج بعض الملاحظات حول الأطباء الأجانب في بلدان أجنبية (روسيا نموذجا) لمقارنتها مع الجزائر كاسقاطات على واقع الممارسة الطبية :

إن موضوع مجيء الأطباء الأجانب و زيادة احترامهم و تقديرهم ليس خاصا بالجزائر فقد عرفت روسيا القيصرية نفس الإشكالية فيرى أهل الاختصاص في تاريخ الطب في روسيا مثل ميرسكي mirskij [3] أن وجود الأطباء الأجانب في روسيا بدأ في عهد ايفان الثالث (1440- 1505 م) حيث عرفت البلاد انفتاحا على العالم و يعد الطبيب الألماني أنطن نمسين الأول من جاء إلى روسيا (لقد لقى هذا الطبيب حتفه على يد المغول الذين قتلوه و قطعوه اشلاءا بعدما أن عجز عن شفاء أمير من أمرائهم) و زاد عدد الأطباء الأجانب في روسيا في عهد القيصر بطرس الأكبر و كان أغلبيتهم من الألمان و الآخرين من بريطانيا

---

1 - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 240-241

2 - لزغم فوزية ، المرجع السابق، ص 238-239.

3 - ميرسكي : مؤرخ روسي متخصص في تاريخ الطب في روسيا :

Nathalie kouriokina-sacré.l'image du médecin dans la littérature russe du XIXè siècle . thèse pour l'obtention de docteur en littérature paris-sorbonne. 2011 p 21

و هولندا و فرنسا و قد اكتسب هؤلاء الأطباء احتراما و تقديرا كبيرين في أوساط المجتمع الروسي شأنهم شأن ما حصل للأطباء الأوروبيين الذين جاؤوا إلى الجزائر و عرفوا احتراما و تقديرا من السلطة و الأهالى . و دائما مقارنة بالجزائر فقد كتب الماركيز دو كستيـن (marquis de custine) الذي عاش ما بين 1790- 1857 م و الذي حظي باستقبال القيصر نيقولا الأول وكان عنوان كتابه روسيا 1839 والذي دون من خلاله أراءه عن روسيا في تلك الفترة و قد طبع هذا الكتاب في باريس في سنة 1843 م ترجمته عدة دول مثل بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية لما احتوى الكتاب لملاحظات عن روسيا[1] و قال فيه إن هذا بلد متخلف و إن ممـارسة الطب متـدهورة فيه وقد كان له انتقادات لاذعـة عن الطب و الأطبـاء وقال بالعبارات الآتية : هل أنت مريض ؟... فداوي نفسك بنفسك أو اذهب إلى طبيب أجنبي فانك إن قصدت طبيب محلي فانك لا محالة ميت فانه لا يوجد طب في روسيا و أنه لا يوجد طبيب ممتهن غير الأطباء الألمان الذين هم في خدمة العائلة الحاكمة و أن آخر طبيب في مستشفياتنا أحسن بكثير من أبرز طبيب روسي فالنصيحة إن كنت مريضا أن تفكر و كأنك عند الشعوب المتوحشة و أن تترك نفسك للطبيعة تعمل ما تشاء[2] ، هذا النص يذكرنا بآراء لوجي دو تاسي الذي قال أنه لا يوجد طبيب واحد في الجزائر[3] ، و الطبيب شو shaw الذي أنصف قليلا و قال أنه لم يرى سوى عددا ضئيلا من الأطباء الجزائريين الذين يعرفون ابن سينا و الرازي [4]

ان اغلب الذين بحثوا و كتبوا في مجال الطب الأوروبي خلال العهد العثماني مثل أبو القاسم سعدالله استنتجوا أن ظاهرة لجوء الحكام الأتراك و الأهالي الأثرياء إلى خدمات الأطباء الأجانب كان نتيجة عدم كفاءة الأطباء المحليين و يرى الأستاذ مصطفى خياطي أن هذا الاستنتاج مبالغ فيه حيث أن ايالة الجزائر عرفت 83 دايا ، 44 بايا في بايلك قسنطينة , 25 بايا في بايلك التيطري و عدد كبير من البايات في معسكر و وهران و آن عدد المسؤولين

---

[1] - لم يسمح بنشر هذا الكتاب الا على عهد الرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشوف خلال مشروع اصلاحاته.

[2] - De custine.A , la russie en 1839 , librairie Amyot TI, 1843, p 340-342.

[3] -De tassy laugier , histoire du royaume d'alger , paris , ed. loysel , 1992 , p82.

[4] - dr shaw ,op.cit,. P 80 .

الذين اتخذوا أطباء أجانب و لجؤوا إلى خدماتهم قليل لا يكاد يزيد عن 10 أمثال صالح باي (1771) الذي اشترى طبيب ايطالي ب1000 محبوب يدعى باسكال غاميزو [(1)] و باي آخر من قسنطينة كان له طبيب شخصي من مالطا يدعى طاي(they) و الداي علي خوجة (1817-1818) الذي استقدم الطبيب الاسباني خوان فرنانديز دي لاس هراس و نفس الشيء للباي قليان حسين بوكمية باي قسنطينة (1713- 1736) الذي لجأ إلى الطبيب الهولندي سانسون للإشراف على صحته. [(2)]

لقد وجد عدة أطباء أوروبيين من أصول مختلفة جاؤوا ولهم أغراض متباينة غير أنهم لقوا انفتاحا و تسامحا من المجتمع مثل الطبيب الأسير سيمون بفايفر الذي كان محظوظا و ذلك بشهادته و تمكن بممارسة مهنته أن يجمع أموالا طائلة , و البعض الأخر من الأطباء مارسوا و عملوا بكل حرية و لم يجبروا على دفع الرسوم و الضرائب [(3)] كما كان الحال للمهن و الحرف الأخرى و التي طالما أثقلت كاهل هؤلاء الحرفيين و هذا مقارنة مع الأطباء الألمان الذين وفدوا إلى روسيا و لم يكن اندماجهم سهلا في المجتمع الروسي الذي ظل متشككا غير واثق فيهم حتى نهاية القرن 19 م و حتى في عهد بطرس الكبير الذي شجع مجيء الأطباء الأجانب و قربهم إلى السلطة مما ولد حساسية كبيرة بين الأطباء الأجانب خاصة الألمان و الأطباء الروس[(4)].

إن هذا يوحي لنا عن روح التسامح و انفتاح المجتمع الجزائري إزاء الأجانب عامة و الأطباء خاصة فوجدوا شعبا مرحبا واحتراما و تقديرا، فكل ذلك سهل اندماجهم في المجتمع الجزائري، فالإشكالية ليست في تزايد عددهم واحترامهم وتقديرهم و اعتبارهم أكثر مهارة و كفاءة من المحليين، و إنما ما يجب ذكره هو هل استطاعت السلطة الحاكمة و المجتمع الجزائري

---

[1] - khiati.op cit .p 80

[2]- لزغم فوزية.،المرجع السابق، ص 238.

[3]- Khiati, ibid , p62

[4] - Nathalie kouriokina-sacré, op cit , p34.

استغلال وجود هؤلاء الأطباء الأجانب و الانتفاع من تجربتهم و إدخال أفكارهم و منهجيتهم العلمية كما حدث على سبيل المقارنة لا للحصر مع روسيا و الأطباء الألمان ؟

1- 3 طب الاتراك :

عرفت الجزائر أول تدفق للإنكشارية في سنة 1520 م ، إثرإرسال" خير الدين بربروس"، بموافقة من أهالي الجزائر، طلب الانضمام إلى الدولة العثمانية، حيث أرسل السلطان سليم الأول 1520 -1512م إلى الجزائر ألفين (2000) من الإنكشارية و 4000 من المتطوعين الأتراك، لتدعيم قوة" خير الدين"، المؤلفة آنذاك، من 5000 جندي[1]، لتثبيت حكمه من جهة، وحماية الجزائر من الهجمات الإسبانية من جهة أخرى، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر جيش إنكشاري خاص، عرف ب"أوجاق الجزائر "، بجميع هياكله ومؤسساته وكان استقراره بمدينة الجزائر، حيث بنيت له ثكنات للإيواء ونظمت قوانينه وحددت أجوره وكان التجنيد للعمل بالجزائر يتم بطلب من حكامها وبترخيص من الباب العالي، كان معظم إنكشارية الجزائر ينتمون إلى أصول مسلمة، وكان أغلبهم من فقراء الأناضول والشبان المغامرين من أجل الثروة والجاه، وبعض المتطوعين غير أن الأغلبية كانوا من أصول تركية , حدد عددهم هايدو ب 6000 جندي، [2] و قدره شاو بـ 25 إلى 30 ألف مجند، وقد تصل إلى 100 ألف جندي منهم 000 15 إلى 16.000 من الأتراك [3] و هو نفس العدد، تقريبا، الذي أشار إليه لوجي دو تاسي الذي حدد القوات التركية بالجزائر ب 12.000جندياً، [4] أما فونتور دي بارادي فيقول أن عدد المجندين في الجزائر يصل بين

---

[1] - Chehrit kamel , les janissaires, origine et histoire des milices turques des provinces ottomanes et tout spécialement celle d'alger, edition grand alger , 2005 , alger ,p49.

[2] - HAEDO (Fray Diego de) , "Histoire des Rois d'Alger" , traduit par Moliner-Violle, in R.A 18 80 , p 7

[3] - SHAW(Thomas), op.cit, p154.

[4] - LAUGIER (De Tassy), op cit , p 204.

1816م، "شالر" أما[1] يسكنون داخل مدينة الجزائر 3000 مجند، منهم 8 000 و7 000 فيقدرعدد المجندين بالجزائر ب 15 ألف جندي.

ان السن القانونية للتجنيد، بالنسبة للجزائر، لم تكن محددة، إلا أن الأرجح أن يكون المجند في سن المراهقة قبل أن تنمو لحيته (أمرد)[2] . ويتميز الإنكشاري بأناقته ونظافته، أما طعام الإنكشاري فيتمثل، عادة في الأرز المطبوخ بالزبدة ويدعى" بلاو" أو برغل وقليل من الخبز وفواكه الموسم وماء، أما اللحم فلا يتناوله الإنكشاري إلا مرة في الأسبوع ليلة الجمعة ، وبهذا يمكن تصور مدى بساطة وتواضع حياة الإنكشاري في الثكنة ومدى حرص حكومة الجزائر على توفير الحياة الكريمة للمجند، كما أن الخدمة العسكرية للمجند تدوم 10 سنوات ثم يختار البقاء بالجزائر أو العودة إلى موطنه الأصلي، وتدفع رواتب الجند في الجزائر كل شهرين عكس إسطنبول، حيث تدفع كل ثلاثة أشهر ويجب أن يحضر جميع الجند لتسلم رواتبهم حتى وإن كانوا يؤدون خدمتهم في المدن البعيدة، وكان الإنكشاري لا يتسامح في حقوقه مهما كانت ظروف الدولة الاقتصادية[3] ، بالإضافة إلى الأجور حظي الإنكشاري، في ظل هذا النظام بجملة من الحقوق والامتيازات المادية والأدبية منها:

- الإعفاء من الضرائب إعفاء تاما، وحق شراء المواد الغذائية بسعر أقل بنسبة 1/3 السعر الرسمي.

- الحق في وجبات يومية مجانية و كان للإنكشاري إكراميات" بقشيش "تدفع له في المناسبات السعيدة،

- خضوعه لنظام قضائي خاص يحفظ كرامته.

- حق التقاعد مع الاحتفاظ بمرتبه كاملا، حتى وفاته، وحرية اختيار مكان إقامته و كان سن التقاعد ما بين سن الأربعين أو الخمسين أو الستين .

---

[1] - de Paradis Venture., alger au XVIIIè siècle 1788 –1790 ,ed grand alger livre .alger 2006, p 171.

[2]- معاشي جميلة ، الانكشارية و المجتمع في ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث ، غ م ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007 – 2008،ص20

[3] -Chehrit kamel , op.cit ,pp49-51.

- و زيادة على هذه الامتيازات فقد أولت السلطة العثمانية في الجزائر اهتماما بالرعاية الصحية لهذه الفئة من الجنود , فقد كانوا يأتون الى الجزائر في سن المراهقة و بذلك كانوا يتمتعون بصحة جيدة و أوكلت السلطة الى الباش جراح الوقوف على حاجيات الجنود الأتراك الصحية و التصدي لأي مرض يتفاشى في أوساط الجنود , فكان في نفس الوقت طبيبا و جراحا و صيدليا يوفر الحاجيات الأولية من الأدوية التي يعدها و يقتني الأدوات الجراحية اللازمة . [1]

2- الواقع الصحي و الامراض و الاوبئة خلال العهد العثماني

1 -2العامل الاقتصادي:

إن الوضع الصحي في أي بلد يعكس لنا مستواه المعيشي و هذا ينطبق في أي زمن و أي مكان و الكل مرتبط بالاستقرار السياسي و الرخاء الاقتصادي . و المستوى المعيشي يرتكز أساسا على الوضع الاقتصادي من درجة غنى أو فقر ، و توفر السلع ، وغذاء، و القدرة على الشراء ، و الدخل الفردي و الإجمالي.

لقد تأثر الوضع الاقتصادي لعدة عوامل خارجية وداخلية , ففي نهاية القرن 15 م عرفت أوروبا الاكتشافات الجغرافية و أصبحت التجارة تمر عبر المحيطات و نقص نشاطها في البحر المتوسط, مما اثر سلبا على بلدان المغرب بفقدانهم مورد اقتصادي مهم , فعندما استقر الأتراك في مدينة الجزائر، تضاعف نشاط القرصنة و تحولت إلى مؤسسة من مؤسسات الدولة فتنظمت طرق التوظيف و التمويل و العمليات الحربية و أصبحت الطريقة الجزائرية مثالا يحتذى [2]

و زيادة على القرصنة اعتمدت السلطة العثمانية الحاكمة في نظامها المالي لتمويل الخزينة على جباية الضرائب خاصة عندما تتقلص موارد القرصنة و كان النظام الضريبي على شكلين:

[1] - Khiati, op.cit, p72.

[2]- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر ، المصدر السابق. ص 60.

-ضرائب و رسوم القطاع الريفي، و اتصفت بالتعدد و التنوع و يمكن تحديدها كالتالي : ضرائب الملكيات الخاصة و تسمى العشور.

-فوائد و رسوم أراضي البايلك التي تم الحصول عليها بطريق المصادرات المتعددة التي يقوم بها البايات و الأغاوات.

- الضرائب المستحقة على أراضي العرش و المناطق المستعصية على نفوذ البايلك، و تعرف بالغرامة التي تفرض عوضا عن العشور.

-اللزمة، و هي بمثابة الخراج الذي تنص عليه الأحكام الإسلامية باعتبارها ضريبة الرعية المغلوبة على أمرها.

-المعونة التي تقدمها القبائل مساهمة منها في خزينة الأيالة.

-غرامات أخرى كضيفة الباي، التي يشترى بها الباي الهدايا المخصصة لداي الجزائر غرامة الفرح أو البشارة، و تؤخذ كرمز للفرح و الابتهاج بتولية الباي أو إقراره من جديد غرامة خيل الرعية، و هي مساهمة مادية من بعض القبائل، و تشمل عددا من الخيل و دواب للنقل.[1]

أما الشكل الثاني فيتمثل في الضرائب التي كانت تؤخذ من سكان المدن و تتمثل:

-عوائد بيت المال، التي تتألف من مردود الأوقاف و ما يعود إلى الخزينة العامة و الدنوش* و العوائد.

-الودائع و الأملاك التي يتوفى أصحابها الشرعيين و تبقى بدون وريث

-رسوم النقابات المهنية و الدكاكين التجارية

-رسوم الطوائف العرقية و الأقليات الدينية

[1]- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي الجزائري أواخر العهد العثماني(1792-1830)، المرجع السابق، ص ص 83-93.

* التدنيش في الاصطلاح الجزائري هو دفع الباي كل ثلاث سنوات للضرائب و الاتاوات المفروضة عليه لخزينة الدولة : أحمد الشريف الزهار (نقيب الأشراف) المذكرات (تحقيق المدني أحمد توفيق) دط، دار البصائر ، الجزائر 2009،ص86.

- المصادرات المتمثلة في كل ما تصادره سلطات الأيالة التي يتعرض لها بعض الأغنياء.[1]

و الملاحظ على السياسة الاقتصادية لتمويل الخزينة لإيالة الجزائر أن الضرائب كانت تعسفية، و غير عادلة، فهي لا تخضع لأي نظام قانوني و في هذا الصدد يقول الشريف الزهار " أن الخلفاء يأتون في آخر الربيع، فيخرجون معهم الأمحال ليستخلصوا الخراج و الزكاة و الأعشار. و هكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي و الأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم و الظلمات و نهب أموال المسلمين. و ما وقع هذا حتى صار الناس فجارا و الأمراء ظالمين ". [2]

و قد مرت هذه السياسة الاقتصادية بمرحلتين :

الأولى : " استغرقت القرن السادس عشر و النصف الأول من القرن السابع عشر، كانت فيها مداخيل القرصنة أو الجهاد البحري كبيرة، فأدى ذلك بالحكام إلى عدم التدخل في شؤون السكان الداخلية، و كانوا يكتفون بالتعامل مع شيوخهم و مرابطيهم، إذ كان الناس يستجيبون لسلطة هؤلاء الروحية، الذين كانوا يتمتعون في المقابل بتأييد الحكام لهم .
الثانية : و التي امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى تاريخ الاحتلال الفرنسي، و تميزت سياساتهم فيها بالتدخل في شؤون السكان، و العمل على إخضاع القبائل لسلطتهم، و الهيمنة على القبائل الحليفة بسبب تناقص مداخيل الجهاد البحري " و قد اتبعوا في ذلك أسلوبا يعتمد على القوة و يتصف بعدم مراعاة ظروف و أحوال الأهالي، و تجاهل رجال الدين.

و كان التعسف في جمع الضرائب من العوامل التي زادت من فقر الفلاح الجزائري، و سوء أحواله المعيشية و نقص مستواه المعيشي و تدنى بذلك الاوضاع الصحية و الممارسة الطبية و تصور لنا بعض المصادر تلك الممارسات الجائرة، منها ما ذكره السلاوي على لسان ابن الشريف الدرقاوي الذي اشتكى إلى مبعوث السلطان " ما نال الفقراء و المنتسبين و سائر الرعية من عسف الترك و جورهم، و إنهائهم في ذلك إلى القتل و الطرد من الوطن.

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي الجزائري أواخر العهد العثماني(1792-1830)، المرجع السابق، ، ص ص 94-108.
[2]- أحمد الشريف الزهار (نقيب الأشراف)، المصدر السابق، ص56.

و تعد الزراعة المورد الرئيسي الذي يؤمّن معيشة الغالبية من السكان و تميز أسلوب الإنتاج فيها بالنظام الإقطاعي حيث كانت أقطاعات الأراضي الخصبة ملكا للطائفة التركية و التي كانت تعتمد في زراعتها على طريقة الخماسة، فيحصل الفلاح أو الخماس على خمس الإنتاج مقابل عمله في أرض الإقطاعي التركي مستعملا الوسائل الفلاحية البدائية ، مما اثر سلبا على الاقتصاد بتدني المستوى المعيشي خاصة اذا تعرضت الجزائر لمجاعات مهلكة كتلك التي حدثت سنة1798 التي قال فيها مسلم بن عبد القادر " مسغبة عظيمة ،اهلكت فيها امم كثيرة حتى اكلوا الميتة و الدم و لحوم بعضهم بعضا "[1]

فأدى ذلك إلى غلاء الأسعار و ندرة المواد الغذائية، و مما زاد في معاناة السكان حدوث كوارث الطبيعية كالزلازل وانتشار أوبئة فتاكة كان لها الأثر على الوضع الصحي و الاجتماعي و الثقافي.

و كانت هذه الوضعية السيئة التي آل إليها الفلاح تجعله يترك العمل في الأرض و يميل إلى " الزراعة المؤقتة، و الرعي المتنقل لا سيما في المناطق التي ينعدم فيها الأمن" أو ما يعرف بأرض الخلاء هروبا من سياسة الضرائب المجحفة في حقه، فقد كان " معرضا للحملات العسكرية و مهددا من قبائل المخزن المسلحة زيادة على تعرضه للأمراض و الاوبئة، ومعاناته من الفقر و المجاعات. يقول محمد الصالح العنتري في انعدام الامن أن أهل الأعراش قاموا على بعضهم بعض بالنهب و الفساد و اثر ذلك الاضطراب انعدمت الحراثة في سنة 1804 و تزامن ذلك مع وفاة عثمان باي في الجهات الأخرى , و انفقدت الحبوب بقيام ذلك الهول و عز اخراجها , و قل من يأتي بها للأسواق مخافة الطرقات .[2]

كل هذا انعكس سلبا على الانتاج و جعل الفلاح يفقد الرغبة في العمل و حدث في سنة 1786 م أن ملاك الأراضي في سهول عنابة لم يجدوا اليد العاملة التي تقوم بحصاد حقولهم فلجؤوا الى التنازل عن الانتاج بعد تخوف الفلاحين من انتشار الوباء و زهدوا في الحصول

---

[1]- مسلم بن عبدالقادر الوهراني ، خاتمة أنيس الغريب و المسافر ، تحقيق رابح بونار ، دط ، سلسلة ذخائر المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 130.

[2]- محمد الصالح العنتري . سنين القحط و المسغبة ببلدة قسنطينة. منشور تحت عنوان مجاعات قسنطينة .تحقيق و تقديم رابح بونار . الجزائر , سلسلة دخائر المغرب العربي . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . 1974 . ص 33 .

على خمس المحصول ما دام عمال البايلك و الملاك المقيمون في المدن يستحوذون على أربعة أخماس المنتوج بدون عناء .[1]

فأما في المدن فان النشاط الصناعي كان ضعيفا حيث اقتصر على الصناعات المحلية اليدوية، و بعض الصناعات المعدنية التحويلية الأخرى و التي تمثلت في " صناعة الأغطية الصوفية، و الأحزمة الحمراء بتلمسان، و البرانس و الزرابي و الحصر بالأطلس، و الفخار بندرومة، و الأحذية و الزرابي بقلعة بن راشد ، و الأدوات الجلدية و الأقمشة بمازونة ، و مهن الحدادة و صنع الأسلحة او الفضة بمناطق جرجرة، و معالجة الأصواف و الجلود و صنع السروج بقسنطينة و صناعة الحلي و الأحذية و الشواشي بمدينة الجزائر [2]

أما النشاطات التجارة الداخلية كانت تجري داخل المدن بواسطة الأسواق الأسبوعية و السنوية في الأرياف. و قد ساعد على تعزيز هذه التبادلات عاملان هما أولا تشجيع الحكومة للأسواق التجارية لفرض نفوذها على سكان الأرياف و ثانيا مرور القوافل عبر الأراضي الجزائرية نحو المشرق العربي أو بلاد السودان.

لقد كان الاقتصاد في الجزائر في العهد العثماني قائما على الفلاحة في الريف و العائدات البحرية و التجارة الخارجية و الحرف في المدن و بما ان اغلبية السكان كانوا من الريف فان الفلاحة كانت تمثل مصدر الثروة و المورد الاساسي خاصة عندما تنقص الموارد البحرية أو تدهور التجارة الخارجية مثل ما حدث اثر حملة اكسماوث على التجارة في الشرق الجزائري بعد تهديم مؤسستي القالة و عنابة [3]

و كانت تلجأ السلطات التركية الى مضاعفة الضرائب على سكان الريف كلما نقصت عائدات الخزينة او حدثت كوارث طبيعية من زلازل و جفاف و انتشار أمراض و أوبئة في فترات معينة ، كل هذا أدى الى انخفاض المستوى المعيشي ، و ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية و ضعف القدرة الشرائية و تدني الوضع الصحي و مستوى الخدمات الصحية

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين.دراسات في الملكية العقارية، الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب .1986. ص 56.

[2]- سعيد وني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثماني 1800- 1830 م ش. ون. ت الجزائر 1979 ص 34.

[3]- الزبيري محمد العربي,المرجع السابق ،ص119 .

.ففي الفترة الممتدة ما بين 1794 – 1798 م نقص الانتاج الزراعي في بايلك الشرق فقل العرض و ارتفعت الأسعار و تفشت الأمراض ، فاضطر صالح باي الى التصريح الى الشركة الملكية لافريقيا لايقاف تصدير الحبوب بسبب شدة الأوبئة[1]

2-2 العامل الديموغرافي:

في العهد العثماني تغيرت البنية الاجتماعية و العمرانية والبيئية للبلاد و تطورت مدن مثل الجزائر، المدية ، و بفعل التغيرات الديموغرافية ، ازدادت الحاجيات الأولية للمجتمع من غذاء و طلب للخدامات صحية من وقاية و علاج ، و اختلال البيئة و كل هذا كان له اثر على الوضع الصحي و الطبي.

إن مدينة الجزائر التي زارها حسن الوزان في مطلع القرن السادس عشر ليست هي التي تطورت خلال العهد العثماني فقد قدر سكانها بنحو أربعة آلاف كانون و معنى هذا أنها كانت أقل سكانا من مدينة بجاية بنحو أربعة آلاف كانون . غير أن هذه المدينة نمت بسرعة كبيرة ، نتيجة هجرات الأندلسيين اليها و توافد الأتراك و الأهالي عليها ، لأنها أصبحت مقر السلطة المركزية و ميناء القرصنة الكبير . قدر هايدو سكانها في أواخر القرن السادس عشر بحوالي مائة ألف ساكن ، بينما هناك رسالة محررة سنة 1630 م من أحد الفرنسيين يدعى جيرني كانت موجهة لأحد مستشاري الملك تذكر أن عدد سكان الجزائر بلغ أكثر من 200 ألف نسمة سنة 1621 ، غير أن الطاعون أتى على ما بين خمسين و ستين ألفا، و في أواخر القرن الثامن عشر، قدر بارادي سكان مدينة الجزائر ب50 ألف نسمة. [2]

و قد عرفت الايالة تدهورا كبيرا من الناحية الصحية و المعيشية حسب ما أورده ناصر الدين سعيدوني ، مما أثر سلبا على الوضع الديمغرافي خاصة في أواخر 18 م ، حيث تناقص عدد السكان ، و بالتالي تناقصت اليد العاملة ، بما فيها الحرفيين ، و الصناع ، و المزارعين ، و تناقص عدد البحارة ، و يعود ذلك إلى انتشار أمراض ، و انتقال العدوى من الدول التي تتعامل معها الايالة كالدول الأوربية، و بلاد السودان ، و المشرق العربي ، و من

---

[1]- القشاعي فلة, النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني1771 -1837 م , رسالة ماجستر في التاريخ الحديث , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية , جامعة الجزائر . 1989 – 1990 . ص 12 .

[2]- عباد صالح ، المرجع السابق، ص355.

هذه الأمراض : الكوليرا ، التيتانوس ، الجدري ، و الطاعون ، السل ، و كانت العدوى تنتقل خاصة عن طريق التجار ، أو البحارة ، أو الحجاج ، أو الطلبة . [1]

و من العوامل التي ساعدت على انتشارالأمراض و الأوبئة وجود مستنقعات بالسهول الساحلية ، و ظروف مناخية كانت تعرفها البلاد من فترة لأخرى من جفاف و فيضانات و زحف الجراد و عدم وجود ثقافة الالتزام بالقواعد الصحية في حالة وجود وباء أو مرض ، و عدم وجود أدوية ناجعة [2]

و أكثر الأمراض فتكا بالسكان تمثلت في الطاعون ، ففي هذه الفترة نجد وباء عامي 1786-1787 م الذي أدى الى انخفاض سكان مدينة الجزائر الى خمسين ألف نسمة، و موت ثلث سكان عنابة . كما تسبب الطاعون في موت عدد كبير من الأسرى،و وباء 1790 م و الذي يسمى بالوباء الكبير ، لبقائه فترة أطول، و الذي قيل أنه أتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية [3] و وباء 1792 الذي استمر لغاية سنة 1804و وباء عامي 1817-1818 الذي قتل 14 ألفا من سكان مدينة الجزائر ، و ثلثي سكان مدينة عنابة ، و استمر الطاعون يظهر من حين لآخر حتى عام 1822 كآخر وباء خلال الفترة العثمانية .[4] و ما يجدر ذكره هو أنه عندما يظهر وباء الطاعون فانه يصيب أيضا الحيوان مثل الماشية و الخيول، ففي سنة 1818 ضرب الطاعون و قضى على 14 فرسا في اصطبل الداي في مدة أسبوع واحد [5]

هذا ما كان له الأثر على البيئة و الصحة خاصة في بلاد القبائل التي كان الاقتصاد فيها معاشي في المرتفعات و الجبال و ذلك لوعورة التضاريس و قساوة المناخ و يرتكز أساسا

1- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و أبحاث ، ص 559

2 - thomas shaw ,op cit . p81

3- أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص78.

4- القشاعي فلة موساوي ، الصحة و السكان في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871 ، دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2003-2004 ، ص ص 112- 113.

5 - Raynaud .l .la peste en algérie , épidémies de la peste dans la régence d'Alger , cas de peste survenue dans la colonie de 1899 – 1924 , archives de l'institut pasteur d'algerie.T2. 1924 . p 311.

على تربية الماشية و الزراعة في السهول يعتمد على الحيوان و أدوات فلاحية بدائية كالمحراث الخشبي و المنجل البدائي و الفرشاة البسيطة [1]

حسب ابن خلدون ان المستوى المعيشي هو قيمة الدخل و الخرج و قال متى عظم الدخل و الخرج اتسعت أحوال الساكن و وسع المصر و يرى أيضا أن المستوى المعيشي في المدن الكبرى أحسن من المدن الصغرى و القرى .[2]

ان العامل الديموغرافي مرتبط بالعامل الاقتصادي، و كلاهما له الأثر المباشر على المستوى المعيشي و الرعاية الصحية و الخدمات الطبية ، فانتشارالأمراض و الأوبئة و حدوث كوارث طبيعية و جفاف و فيضانات كان يؤدي إلى موت عدد كبير من السكان خاصة الأطفال و الشيوخ، و حدوث أزمة اقتصادية نتيجة اتلاف الحرث والزرع وارتفاع الأسعار و قلة الإنتاج كان فيها الفلاح في الريف أكثر تضررا و عرضة لأمراض سوء التغدية مما زاد في تعاسته و بؤسه انتشار الفقر، فأكد ناصر الدين سعيدوني أن الأرياف كادت أن تفقر بسبب الظروف الصحية ، وحتى الضرائب كادت أن تنعدم بعد تضرر المزروعات بسبب الكوارث في سنة 1816، [3] و نتج اختلال في البيئة فانكمشت الأراضي الصالحة للزراعة و تقلصت الثروة الحيوانية حتى أصبحت المساحات المستغلة فعليا لا تتجاوز 359040 هكتار و بلغت قطعان الماشية 7 ملايين رأس على أقل تقدير، [4] و تحول الفلاح الصغير في الريف من حياة استقرار و انتاج الى حياة ترحال و اهمال للأرض بحثا للكلاء للمواشي و هروبا من الضرائب، و أصبحت الأراضي مراعي موسمية مما كان له تأثير حتمي على التوازن البيئي للأرض، و قال في هذا الصدد ناصر الدين سعيدوني أنه في حوالي سنة 1791 ، اضطر قسم كبير من السكان إلى اللجوء إلى المناطق الجبلية المنيعة فنتج تناقص المحاصيل الزراعية التي لم تعد تفي إلا بحاجة السكان الاستهلاكية و قد كانت تصدر من قبل الى الخارج . [5]

---

[1]- سعيدوني. ناصر الدين، النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية 1800 و 1830. المرجع السابق .ص 33 .
[2]- عبد الرحمن ابن خلدون . المقدمة ، ط 1 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2009 ، ص 317 .
[3]- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية 1800 و 1830، المرجع السابق ، ص 56 .
[4]- سعيدوني ناصر الدين.، دراسات في الملكية العقارية ، المرجع السابق ، ص37.
[5]- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية 1800 و 1830، المرجع السابق ، ص 37.

2-3 الأمراض و الاوبئة:

أمراض العيون:

و هي راجعة للتغيرات المناخية و تأثيرها على تركيبة العين ، و قد رأى بعض الأطباء و الرحالة الأوروبيين أن الجزائر كانت خالية من الأمراض المعدية و الأوبئة و انما وصلتهم هذه عن طريق أقطار المشرق العربي و بلاد السودان و المغرب الأقصى و بعض المناطق الأوروبية ، كما كان طريق الحج من أهم مصادر الوباء . (1)

التيفوس :

و يدعى أيضا بالهواء الأصفر ، و قد شكل مرضا خطيرا جدا ، ارتبط بسنوات المجاعة ، و قد وصف هذا الداء من طرف أصحاب الحوليات و المخطوطات بالحمى القراصية ، تتكرر تقريبا كل عشرين سنة (2) و هو نوعان :

التيفوس الطفحي:

و يدعى أيضا بالنمشي و يسمى باللاتينية Typhus exanthematique ، و هذا النوع هو الذي انتشر بين صفوف الفرق العسكرية الاسبانية المتمركزة ببجاية ، و تتمثل أعراضه في ارتفاع حرارة الجسم الى 40 درجة مع صداع شديد و طفح جلدي شديد ، و قد تضرر السكان منه بصورة شديدة في أوت 1826. (3)

تيفوس مورين :

---

[1]- سعيدوني. ناصر الدين، النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية 1800 و 1830، المرجع السابق ص 54.

[2] -L.Raymond, H.Soulie , P.Picard,'' hygiène et pathologie nord-africain '' . in assistance médicale , T1 , p415 : cite par Lamarque , in : recherche …. , p46

[3]- الزين محمد الأوضاع الاجتماعية و الصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830 ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر غير منشورة ، جامعة الجيلالي اليابس – سيدي بلعباس ، 2010-2011 ، ص 209

و هو لا يعرف الا بتسميته اللاتينية Typhus Murin ، و يشكل برغوث الفأر الناقل لهذا المرض ، و أعراضه تكون مماثلة لأعراض النوع الأول [(1)]

و من بين أبرز الأمراض و الأوبئة التي عرفتها الجزائر أواخر العهد العثماني، كان داء الزهري ، حيث ظهر سنة 1792م ، و برز بشدة مرة أخرى سنة 1817م .

مرض السل:

يضاف إلى أشهر الأمراض التي عرفتها الجزائر، مرض السل، حيث يذكر السيد برك Bergueبأن القرن 14م كان أسوأ قرن بالنسبة لحضارة البحر الأبيض المتوسط، لأن المنطقة كان قد أصابها هذا المرض سنة 1348 م ما نتج عنه انخفاض في عدد سكان المنطقة، و قد ضرب هذا المرض الجزائر مرة أخرى خلال العصر الحديث ما بين سنتي 1552 و 1782 حوالي 26 مرة سجلت فيها مدينة الجزائر عدة حالات بالإصابة بهذا الداء سنة 1693، و استمر إلى سنة 1694، بينما لم تعرف تونس هذا المرض سوى 05 مرات. [(2)]

مرض الحصبة :

كما شهدت سنة 1700م انتشار المرض الأحمر (الحصبة) la rougeole الذي قتل الكثير من الأطفال. [(3)]

الأوبئة:

إن الوباء أثر كثيرا في ذهنيات الناس و ترك فيهم أثارا كبيرة في سلوكهم و معتقداتهم . و قد كتب عنه الكثير و حاول بعضهم فهم هذا المرض من أطباء ، فلاسفة، حكام ، رجال الدين و لغويين . و غالبا ما نجد التفاتة علمية لتعريفه في بعض المصادر التاريخية.

---

[1] - A.Garnier et V.Delmare :dictionnaire des termes techniques de medecine , maloine S.A. ed paris ,1980,typhus ,p1278

[2] - E.Pellissier, Annales Algériens, Librairie Militaire, tome 02,paris,1854,p02.

[3] -Moncer Roussi, population et société au Maghreb(horizon maghrébine), office des publication universitaires, Tunis, 1983, p35

فلغويا يعرف الوباء انه كل مرض عام و يقول ابن منظور " و قد وبئت الأرض توبأ فهي موبوءة اذا كثر مرضها وكذلك وبئت توبأ وبأة فهي وبئة و وبيئة على فعلة و فعيلة و أوبأت أيضا فهي موبئة و استوبأت الأرض و حدتها وبئة" [1]. و يطلق على الوباء عدة مصطلحات مثل المرض الوافد لأنه يصيب الانسان عن طريق الهواء أو مثل المرض العام لأنه يشمل وفدا كبيرا من الناس . و للوباء مرادفات مثل القرف و العدوى.

أما الأطباء و العلماء فكل كان له رأي فهذا ابن زهر يذكر " أن الناس اعتادوا على اطلاق اسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان أو تشمل أكثرهم " و لهذا ان فسد الهواء عم المرض أهل ذلك الموضع أو عم أكثرهم . [2]

يقول ابن خاتمة " بأن الوباء مرض عام للناس قتال عن سبب مشترك " و عرفه ابن الخطيب و ذكر أعراضه فقال " فهو مرض حاد حار السبب سمي المادة يتصل بالروح بواسطة الهواء و يسري في العروق فيفسد الدم و يحيل رطو بات الى السمية و تتبعه الحمى و نفث الدم ويظهر عنه خراج من جنس الطواعين " . [3]

و يعرف ابن خلدون الوباء و يطلق عليه مصطلح الموتان و ذلك أن الوباء يشمل الموت بحدوث هذا المرض المفاجيء للانسان و الحيوان على حد سواء . [4]

ان هناك تداخل في استخدام المصطلحات ، فالوباء و الطاعون دون التفريق بينهما يصعب معرفة نوع المرض أو الوباء لأي فترة زمنية حدث فيها ، فكل طاعون وباء و ليس كل وباء طاعون، أي أن الوباء قد يشمل أمراضا عديدة من بينها الطاعون؛ الذي يعرف بأنه نوع من الأمراض التي تحدث في الزمن الوبائي، و يصنف ابن زهر الأمراض المتوطنة في بيئة معينة إلى بيئية و حضرية و هي كما يلي : أمراض وبائية، أورام طاعونية و تنقسم الى: هوائية (الوباء و الموتان)، مائية(الحميات الدقية و الأورام الطاعونية)، أمراض غذائية نتيجة

---

[1]- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1426هـ - 2005م.

[2]- مزدور سمية، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ / 1192-1520 م) مذكرة ماجيستير غير منشورة، جامعة منتوري- قسنطينة، 1429-1430هـ/ 2008-2009م،ص 21.

[3]- نفسه ،ص22 .

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون . المقدمة ، المصدر السابق ، 299.

التسمم الغذائي و المجاعة . أما الالتهابات و السرطانات و غيرها فصنفها أمراضا تختلف عن الوبائية و الطاعونية [1]

غير أن ابن خلدون كان أكثر تمحيصا في ملاحظاته فانه يرى أن الوباء يظهر ملازما للمجاعات التي هي من جملة العوارض التي تعترض الدولة في آخر دورتها الحضارية لتعجل في النهاية بزوالها و يزيد أن من بين أسباب الوباء فساد الهواء و كثرة العمران [2] و هذا ما أثبتته حديثا الدراسات الطبية في علم الأوبئة، أن تلوث البيئة ، الاكتظاظ السكني ، افتقار لقواعد النظافة الأساسية , عدم وجود سياسة عمرانية محكمة ، تدهور الأحوال المعيشية و الأقتصادية هي من أبرز عوامل انتشار الأوبئة و الأمراض.

لقد كان الوباء مأساة حقيقية في فكر ابن خلدون خاصة الطاعون و قد جسده في سيرته الذاتية فهو يتناول الحديث عن وباء 1348 م باستياء كبيرلأنه قضى على والديه و أبرز شيوخه و عطل مسيرته العلمية . [3]

من بين كل الأوبئة التي اجتاحت المجتمعات عبر التاريخ فان الطاعون يظل الوباء الأكثر فتكا بالبشر، و قد ظهر الوباء منذ القديم و ظلت نظرية جالينوس و ابن سينا حسب منطق اضطراب الأمزجة هي السائدة و الأكثر رواجا و تقبلا في فهم هذا المرض، و حسب ابن سينا فان وباء الطاعون هو نتيجة تعفن الهواء و أن المرض يعدي و ينتقل عن طريق الهواء، اللعاب ، العطس و حتى اللباس . و ساهم الفلاسفة و رجال الدين بنظرياتهم فأرجع بعضهم الوباء إلى أسباب روحانية بتقارب الأفلاك كاجتماع الكواكب و اتصالها ببعضها البعض كاجتماع المريخ و زحل في البروج النارية، و في هذا الصدد يقول ابن الخطيب " سبب أقصى و هو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر على العالم حسب ما يزعمه أرباب صناعة

---

[1]- غازي الشمري و جعفر يابوش ، ابن زهر دراسة في الكتابة و التطبيب، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم، جامعة وهران،2013 ،ص.279-288.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون . المقدمة ، المصدر السابق ، 301 .

[3]- دهينة عطاء الله ، أعمال الملتقى الدولي لابن خلدون ، فرندة 1- 4 سبتمبر 1983 ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر 1984 ، ص 131 .

النجوم و يأخذه الطبيب مسلما عنهم" [1] ، أما المسلمين فكانوا يؤمنون أن الطاعون قضاء و قدر و عملوا بحديث الرسول صلى الله عليه و سلم " الطاعون وخز أعدائكم من الجن و هو لكم شهادة " [2]

أما طبيا فالطاعون هو مرض بكتيري حاد مشترك بين الانسان و الحيوان أيضا، و هناك من يعرفه أيضا بأنه مادة سمية تحدث ورما قاتلا، و يكون في ثلاثة أصناف حسبما أقرته التآليف الطبية الاسلامية و كذا الطب الحديث و هي كالآتي :

الطاعون العقدي : الدملي أو الدبلي باللاتينية bubonic :مشتق من كلمة bubon أي الدبل، و هو عبارة عن خراجات ناتئة تظهر في المغابن(الإبط و بواطن الأفخاذ)، و اللحوم الرخوة من الجسم، أي مكان الغدد اللمفاوية كما تعرف الآن في الطب الحديث.

الطاعون الرئوي: و هو النوع الذي أشار اليه ابن خلدون بقوله : " فإذا كان الفساد قويا (يقصد فساد الهواء) وقع المرض في الرئة و هذه هي الطواعين و أمراضها مخصوصة بالرئة "و هو أشد أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق، فلا يكاد يسلم منه أحد و لا علاج له في الغالب لأنه يصيب الرئة و يفرق عروقها و يهتكها لحدة الدم المنبعث إليها و كثرة مقداره و عجزها عن حصره."

الطاعون الانتانمي: و يطلق عليه اسم (septisemic) و تعني هذه العبارة انتان دموي، و يطلق عليه أيضا اسم الطاعون الدموي و التسممي، و عبر عنه ابن خاتمه بالقروح السود، و هي قروح تظهر لأول مرة في الجلد على شكل نفاخات سوداء، أو تميل الى الحمرة كأنها احتراق نتيجة حدوث نزيف في الجلد، و يصاحب ذلك ارتفاع شديد في درجة الحرارة، و هذه النفاخات ما تلبث أن تنفجر بالماء، فتخلف بذلك نكت سوداء تنبع بالماء، أو يصاحب ذلك تورم

---

[1]- ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، منشورات معهد العلوم العربية الاسلامية، ألمانيا- فرانكفورت، 1417هـ-1997م، ص38

[2]- رواه البخاري نقلا عن حمدان خوجة . اتحاف المنصفين و الأدباء في الاحتراس عن الوباء تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم , سلسلة ذخائرالمغرب العربي .الجزائر. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .1968 .ص 85 .

في مواضعها، أو ما حولها، و هذه القروح هي أشد احتراقا من العقد التي تظهر في المغابن، و يظهر في الجسم كمادات سوداء كأنه محترق. (1)

وكان وباء الطاعون من أهم و أخطر الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر و يعود أول ظهورله خلال العهد العثماني الى عام 1552م .(2) و كان يتكرر كل 10 أو 15 سنة و أنها في بعض الأحيان تستمر لبضع سنوات كما حدث سنة 1784 – 1798 م و قد عرف القرن 17 م 61 سنة خالية من الوباء و كان غالبا ما يحدث بعدما تشهد البلاد كوارث طبيعية من جفاف و مجاعات كما حصل في سنة 1740 م (3) ، فقد قدر عدد ضحايا الطاعون في عام 1788 م ب 15793 ضحية ، منهم 13482 مسلم و 1771 يهودي و 540 مسيحي . و كان عدد ضحايا المسلمين يصل يوميا الى 200 أو 240 ضحية ، بينما قدر عدد الضحايا بين سنتي 1792-1793 ب 12 ألف ضحية ، و قد اشتد هذا الوباء ما بين سنتي 1817-1822 م ، مما أدى الى هلاك عدد كبير من الأهالي، اذ قدر عدد الضحايا ب 20 ألف ضحية .

قد كانت هذه الأوبئة تنتقل الى الجزائر من طرف الحجاج و الجنود المجندين و التجار القادمين من المشرق ، و هذا ما يؤكده الزهار حيث قال : ((عندما بلغت المراكب المهداة من استانبول جاء معها الوباء الى الجزائر و اشتعلت ناره سنة 1817 م ، و كان الوباء يتسرب الى الجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر ، لذا نجد أول من كان يصاب به هم عمال الموانئ و بعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد)) (4) و قد أشار بوتان في تقريره عن الجزائر أن الطاعون لم يكن ناتجا عن البيئة الجزائرية فقد كان يأتي دائما من المشرق. (5)

---

[1]- مزدور سمية، المرجع السابق ، ص 21 -22

[2] - Berbrugger adrien. Mémoire sur la peste en algérie depuis 1552 jusqu'au1819. In E.S.A. T2 ; imp royale ; paris 1848 .p 205.

[3]- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة ، المرجع السابق ، ج2 ، . ص 126 .

[4]- أحمد الشريف الزهار ، المذكرات ، دط ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009، ص 78 .

[5] - Boutin .y .reconnaissance des villes , forts et batteries d'alger ; publiée par G.Es in C.D.I.H.A. paris 1927 ; p 67.

و مما تجدر الاشارة اليه ، هو أن وباء الطاعون لم يكن مقصورا على الجزائر فقط ، بل شمل معظم الدول المطلة على البحر المتوسط ، و ذلك لكثرة الاتصالات بين هذه الدول . الا أن مصدره الأصلي ، كان يرجع الى المدن التركية باعتبارها مراكز استقطاب للأجناس المختلفة . و قد كان الوباء ينتقل من المدن التركية الساحلية الى بيروت و الاسكندرية ، ثم دول المغرب العربي . [(1)]

و قد شهدت الفترة الأخيرة من العهد العثماني سلسلة طويلة من الأوبئة المتكررة للطاعون زادت من حدة الأزمة التي عرفها الحكم العثماني في أواخر عهده بالجزائر ، و هي كالتالي:

وباء 1793 : و هو طاعون أصاب مدينة الجزائر سنة 1792 م ، نقله اليها بحارة قدموا من القسطنطينية ، و ظل محصورا فيها ، هذا ما أخد من الرسالة المؤرخة في منتصف جويلية أن الوباء ليس بخطير و لم تتخد أية إجراءات وقائية ضده . [(2)]

ثم انتشرمع حلول سنة 1793 و هذا ما تؤكده رسالة من القنصل الفرنسي الى مرسوله في عنابة في 23 جانفي 1793 م قائلا " ان الطاعون أصاب البساكرة العاملين بمدينة الجزائر و انتقل بعدها الى الأرياف" . مما جعل السلطات تقدم على علق الموانئ و منع القادمين اليها من الدخول و عدم الاتصال بالبواخر المجهولة الأصل [(3)]

و تضاعفت شدة المرض في شهر فيفري مما أرغم السكان الى الهروب نحوالأرياف فأنتشر الوباء خارج مدينة الجزائر ليمس مدينة البليدة، و شمل مناطق أخرى أبرزها مقاطعة قسنطينة و قد كتب السيد كيبار ، مندوب الشركة الملكية الافريقية في عنابة في ذلك الحين أن حوالي مائة شخص كانت تموت في عاصمة الشرق الجزائري ، بينما سلم الساحل بفضل التدابير الوقائية التي اتخذها حاكم القالة الفرنسي باذن من الباي . و تتلخص هذه التدابير في

---

[1]- شويتام أرزقي ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره 1800-1830 ، دار الكتاب العربي ، ط1، الجزائر ، 2010 ، ص 84-85.

[2] - Marchika , la peste en afrique septentoriale , histoire de la peste en algerie de 1363 à 1830. Julien carbonel , alger 1927 . p141.

[3] - ibid ;p141 – 142.

اغلاق المؤانئ و منع القادمين من الدخول اليها ، و عدم الاتصال بالبواخر الأجنبية المجهولة الأصل . و هو بالضبط ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه و سلم عندما قال : ((اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، و اذا وقع بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه.))

و بالرغم من جميع المجهودات التي بذلتها السلطات المحلية ، فان الوباء لم ينقطع ، و بقي في تصاعد الى أن بلغ أوجه سنة 1794 م ، و في هذا الصدد توجد ، في محفوظات الوكالة الافريقية ، رسالة موجهة الى القنصل الفرنسي فاليار Vallière يقول فيها صاحبها : ((ان الطاعون مازال يقتل ما بين خمسين و مائة و خمسين شخصا يوميا في قسنطينة ، و لا نعرف مدى الخسائر التي يحدثها في النواحي الأخرى من المقاطعة)) ، و بالرغم من شدة المرض و حصده أرواحا كثيرة الا أنه لم يؤثر على الحياة الاقتصادية بصفة عامة و الحركة التجارية بصفة خاصة.[1]

وباء 1799 : لقد وردت الاشارة الى هذا الطاعون بكيفية عابرة في جريدة المونيتور ، فيذكر صاحب المقال : ((أنه حل بمقاطعة قسنطينة و انتشر حتى وصل الى الجنوب حيث صار الموت يحصد ، يوميا ، ما بين مائة و مائة و عشرين شخصا)) . و قد كانت الجزائر آنذاك في حالة حرب مع فرنسا بسبب حملة نابليون بونابرت على مصر ، و نتيجة لذلك أغلقت المؤسسات الفرنسية و ألقي القبض على جميع الفرنسيين بما في ذلك ممثل الجمهورية . و ما من شك أن هذه القطيعة هي التي جعلتنا لا نجد في محفوظات الوكالة الافريقية كثيرا من المعلومات حول هذه الكارثة . [2]

وباء 1816 : هو أخطر وباء أصاب الايالة في الفترة التي نتناولها بالدرس . وقد اختلف المؤرخون حول مدة بقائه .فهناك من يقول أنه دام أربع سنوات ، و هناك من جعلها ستا . كما أن الاختلاف كان واضحا فيما يخص ظهور المرض و أسبابه . أما فالانسي و كيون فيتفقان على أن البداية كانت سنة 1817 ، و أن العدوى جاءت من الاسكندرية عندما حلت سفينة الحجيج بميناء عنابة في اليوم الثامن من شهر جوان و على متنها جماعة من المصابين بهذا

---

[1]- الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري .المرجع السابق . ص 51-52.
[2]- نفسه ، ص 52.

الداء العضال . و أما مارشيكا فانه يجزم بأن الطاعون وصل الى عنابة يوم 7 جويلية 1816، و أن سببه يرجع الى قدوم بارجة أهداها الصدر الأعظم للداي يوم 08 ماي 1816. في حين أن دوكرامون يشير الى أن الطاعون حل بالبلاد سنة 1818.

و نحن نعتقد أن مارشيكا على صواب ، لأن الآراء الخاصة بأسباب العدوى و انتشارها سنة 1817 كثيرة و متناقضة . فيقول البعض أن المرض جاءت به سفينة سويدية قدمت من أزمير – في الأناضول – يوم 13 جانفي 1817 ، بينما تذكر جماعة أخرى أن احدى السفن الجزائرية هي من نقلت الوباء من المكان المذكور يوم 14 من نفس الشهر ، و هناك أخيرا من يتهم البارجة اليونانية ((افريقيا)) التي خرجت من بيروت يوم 22 جانفي 1817.

و لئن كان الاختلاف قائما حول تاريخ الوباء و أسبابه ، فان الجميع متفقون على أن المرض ألحق أضرارا كبيرة بالمنطقة ، ((حتى انه منع الناس ، في نواحي عنابة من العمل و زهدهم في الحياة)). و كان في مدينة قسنطينة ، يحصد يوميا أرواح حوالي ثلاثين شخصا ، كما أنه جعل سكان بجاية و جيجل ((يهربون الى قمم الجبال)) .

و فيما يلي نورد بعض الاحصائيات التي جمعناها من مقالات كيون الآنفة الذكر ، و هي أرقام تقريبية فقط لأن من الصعب جدا أن يقوم الانسان باحصاء مضبوط نتيجة الفوضى و الخوف اللذين يظهران عادة في مثل هذه الأوضاع [1]

اسم البلدة	عدد السكان	عدد الموتى	النسبة المئوية
جيجل	200	600	%30
بسكرة	3000	450	%15
سيدي خالد	35	28	%80
أولاد جلال	1500	180	%12
طولقة	700	150	%12.4
فرفار	500	60	%12
ليشانة	600	130	%21.6
بوشقرون	200	30	%15
الزعاطشة	200	25	%12.5

[1]- محمد الزين ، المرجع السابق ، ص 228.

الفصل الثاني

السياسة الصحية للسلطة الحاكمة و الواقع الاجتماعي

1- المنشآت الاستشفائية

1- 1 المستشفيات الخاصة بالأسرى الأوروبيين بمدينة الجزائر :

لقد أولت الدول الأوروبية اهتماما كبيرا برعاياها ، الذين وقعوا أسرى في الجزائر منذ النصف الأول من القرن السادس عشر ؛ ففي سنة 1531 م أسس الآباء الثلاثيون مستشفى بخمسة أسرة ، ثم أضيفت اليه ثلاث أسرة أخرى سنة 1612م [1]، و قد كان جميع الأسرى على اختلاف مذاهبهم الدينية (كاثوليك ، بروتستانت ، أرثوذكس) يقصدونه ، غير أنه كان يغلق في نفس التوقيت الذي تغلق فيه أبواب السجون ، أي مع غروب الشمس [2] .

و قد ساهم الأثرياء الأسبان في بيرو و المكسيك بتوسيع هذا المستشفى و تطويره ، حيث أصبح يحوي اثنا عشر سريرا . كما ساهم القناصل بالمال ؛ إذ قدم نائب القنصل الفرنسي بالجزائر **بيار بيونو** بين عامي 1585-1587م مبلغا ماليا قدر بعشرين ريالا ذهبيا اسبانيا [3] .

و مع نهاية القرن السابع عشر وجد هذا المستشفى مصادر تموين ثابتة تتمثل في : دفع المرضى لمبلغ من المال يوميا لتلقي العلاج ، و مساهمة المسيحيين الأحرار ، و التجار المقيمين في مدينة الجزائر بالمال .كما يدفع الأسرى المسيحيون بعضا من المال ، الذي وفروه. ، و كان الأسير اذا مرض يرسله سيده للعلاج الى هذا المستشفى ، و يعطيه قرشا لشراء الكفن اذا كان في حالة خطيرة . أما إذا استعاد المريض عافيته فانه يعيد القرش الى سيده [4]

و في سنة 1551 أسس الأب **سباستيان ديبورت** Sebastian duport دارا للعلاج بمدينة الجزائر الا أنها لم تعمر طويلا نظرا لنقص الموارد المالية [5]

و قد واصل رجال الدين المسيحيين تأسيسهم للمرافق الصحية بمدينة الجزائر ؛ إذ أسس الأب

---

[1] - كاثكارت جيمس ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب ، ترجمة و تقديم و تعليق ، اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ، ص 102.

[2]- نفسه ، ص 103.

[3]- خشمون حفيظة ، مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر غير منشورة ، جامعة منتوري – قسنطينة - ، 2006-2007، ص 128-129

[4]- نفسه ، ص 130.

[5]- القشاعي فلة ، الصحة و السكان ..، المرجع السابق ، ص 208.

كابوسان Capucin سنة 1575 م أهم مستشفى بمدينة الجزائر بمساعدة مالية من طرف **دون جوان النمساوي**[1] **Don juan d'Autriche** * خارج باب الوادي بالقرب من المقبرة المسيحية . كما قام القديس **برنارد دو مونروا** **Bernard de monroy** بتأسيس مستشفى بالقرب من تبرنة البايليك ، و قام بتوسيعه بعد ذلك القديس الاسباني **بيار (بيدرو) دو لا كونسيبسيون** **Pierre de la conception** ، و تم افتتاح صيدلية بالقرب من الجنينة سنة 1665 م ، و أخرى بالقرب من سجن الباشا من طرف القديس بيدرو ؛ حيث كانت تزود كل المستشفيات المسيحية بالأدوية ، و تبيع بعضا منها للجزائريين (1) .

و عندما زار الآباء ريكودون و أودري مدينة الجزائر **Recaudon et audy** لافتداء الأسرى ، فكرا في تأسيس هياكل صحية اض افية لتدعيم المستشفيات الخمس الموجودة في سجون مدينة الجزائر . و كان الأب بيدرو دي لا كونسيبسيون **Pedro de la conception** مسئولا عن هذه المصحات ، التي أصبحت غير كافية و غير قادرة على التكفل بالمرضى خاصة أثناء الأوبئة الفتاكة ، مما ادى برجال الدين المسيحيين الى افتتاح مصحات إضافية في منازل مؤجرة لهذا الغرض مثلما فعل الأب لوفاشي **Le vacher** ، الذي حول منزله الى مستوصف خلال وباء 1682 م (2) .

2-1المستشفيات المسيحية بالجزائر :

تحدث المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في بحث له حول الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي في الجزائر خلال العهد العثماني عن المستشفيات ، فحصرها في بعض المصحات و ملاجئ العجزة مشيرا أيضا الى مستشفيات رجال الدين المسيحيين التي عبر عنها باسم المارستانات ، و أهمها :

---

* دون جوان النمساوي (1545-1578 م) هو ابن شارلكان غير الشرعي ، قاد أساطيل الحلف المقدس في معركة ليبانت سنة 1571 م: .encyclopédie encarta 2009,dvd-rom

1- القشاعي فلة ، الصحة و السكان ..، المرجع السابق، ص 208.

2- نفسه ، ص 220 .

- **المارستان العام لرجال الدين الاسبان** ، و أسسه الأب سباستيان دي بور Sebastian duport سنة 1551 ، و كان أول مستشفى مسيحي بالجزائر .
- **مستشفيات الراهب بيدرو غاريدو Pedro garrido** ، و قد أنشأها هذا الاخير على نفقته سنة 1662 داخل سجون الجنينة بالقرب من باب عزون ، حيث قام بتأسيس مواردها و جعلها في الخدمة المداومة و كان عددها خمسة ، اثنان منها في سجن الباشا (الجنينة) Le bagne de génine ، و المستشفيات الأخرى في سجن الدوان Douane، و سجن شلبي ، و أخيرا مستشفى Santa catalina.
- **المستشفى اللازاري L'hôpital lazariste** الفرنسي ، الذي خصص له الملك الفرنسي لويس الثالث عشر (1610-1643م) اعانات مالية كبيرة [1]

- المستشفى الاسباني بالجزائر :

كشف بربريجر Berbrugger عن وثيقة [2] هامة للأب برنار مونروا Père bernard monroy بتاريخ 16 ماي 1662 تخص أقدم المستشفيات المسيحية بالجزائر تضمنت معلومات تاريخية تتعلق خاصة بأول هذه المستشفيات .

استنادا إلى وثيقة بربريجر فان هذا المستشفى تأسس سنة 1551. على يد الأب الاسباني سيباستيان دي بور و هو من أصحاب الثالوث المقدس من برغوس Burgos الاسبانية، جاء إلى الجزائر سنة 1546 م للتفاوض حول افتداء بعض الأسرى المسيحيين، أسس أسقفية Chapelle في سجن الملك Bagne du roi ، و وعد بأنه بمجرد العودة الى الجزائر مرة أخرى سيؤسس مستشفى لمعالجة المصابين بالحمى و الجراح و العاهات من الأسرى . حقق الأب سيباستيان دي بور هذه الرغبة بعد أن حصل على تصريح من الباشا يسمح له بإقامة هذا المستشفى بالسجن الكبير ، و ان استخدام كلمة مستشفى Hôpital مبالغ فيها لدلالتها على

---

[1]- حفيظة خشمون ، المرجع السابق ، ص 77

[2] - حررت هذه الوثيقة باللغة التركية و ترجمت الى اللغة الاسبانية ، و تضمنت الامتيازات التي وافق عليها الحاج شعبان ، داي و حاكم مدينة الجزائر تجاه المستشفى الترينيتاني بالجزائر و مديره Le maitre frère joseph queralt طبيب و أستاذ بجامعة برشلونة ، صدرت هذه الوثيقة في شهر جمادى الأولى 1505 ه /09 جانفي 1694م: Berbrugger(A),charte des hôpitaux…op.cit,p239 .

الفخامة ، لأنه في الواقع لم يكن سوى مستوصف صغير و فقير ، لا يحوي الا على بعض الأفرشة الرثة المحشية بأوراق الذرة الصفراء، و هذا رغم المجهودات التي بذلها الأب سيباستيان دي بور في تجهيزه بمواد التخدير[1] و الأدوية طيلة خمس سنوات قبل أن يتركه و يعود الى اسبانيا بعد استدعاء شارلكان له سنة 1556 ، و بقي ذلك المستشفى مهملا الى سنة 1612 حينما تم بعث هذا المستشفى من جديد على يد مجموعة من الآباء الاسبان و هم دون برنارد دو مونروا و أكيلا P.aquila و بلاسيو P.palacio .

حاول بربريجر إبراز مكان هذا المستشفى في غياب مؤلف يحدد مكانه بدقة مشيرا إلى الرسالة التي عثر عليها للأب دون برنارد مونروا بتاريخ 16 ماي 1612 م ، جاء فيها أنه في هذا العهد تأسس مستشفى الثالوث المقدس – وهو نفسه المستشفى الاسباني – في غرفة بقيت حتى ذلك التاريخ دون استغلال بالقرب من الأسقفية في طبرنة البايلك Taverne du bagne du beylik بشارع باب عزون. و هناك رواية ارتبطت باعادة بعث هذا المستشفى و هي رواية فاطمة ، و هي ابنة أحد أغاوات الانكشارية ، تم أسرها في رحلة مع خطيبها لاتمام مراسيم زواجها من طرف أحد القراصنة و أخذت الى جزيرة كورسيكا و بيعت لعائلة مسيحية أدخلتها الدين المسيحي، و في نفس الوقت كان مجموعة من الآباء الأسبان قد أبحروا من اسبانيا نحو مدينة الجزائر لافتداء مجموعة من الأسرى ، و بعد إنهاء مهامهم و الاستعداد بالعودة بالأسرى المحررين نحو اسبانيا وقعت حادثة فاطمة التي ستكون سببا في إحياء المستشفى الاسباني ، فبعد أسرها و بيعها من طرف القراصنة قام والدها بإرسال وفود لافتدائها لكنها رفضت العودة و أصرت على البقاء في موطنها الجديد و على دين النصرانية [2]

و لإخفاء هؤلاء المبعوثين فشلهم في تحرير ابنته أبلغوه أن ابنته أجبرت على اعتناق المسيحية و رفض إطلاق سراحها بالرغم من المبالغ المغرية التي عرضت مقابل إطلاق سراحها ، و بعد انتشار خبر رفض اطلاق سراحها ثار الخاصة و العامة في الجزائر من الباشا و الأغا و أعضاء الديوان إلى عامة الشعب ، فقاموا بتقييد الأسرى المحررين و الآباء الذين

---

[1]- خشمون حفيظة ، المرجع السابق ، ص 78.
[2]- نفسه ، ص 79

جاؤوا لفدائهم و الزج بهم في السجن، و بعدما هدأت الأوضاع ، أطلق الباشا سراحهم و لكنه رفض إعطاءهم تسريحا للعودة إلى اسبانيا .

و هكذا عمل دون برنارد دو مونروا على بعث المستشفى من جديد و مداواة المرضى حيث أقام في كل غرفة اثني عشر سريرا و أعاد هيكل العبادة L'autel الخاص بالثالوث المقدس لمكانه ، و في سنة 1619 استفاد المستشفى من عوائد قدرت بعشرين قطعة ذهبية من طرف P.Grimaye الموصى له بأملاك القنصل الفرنسي بالجزائر عندما قام كل من أكيلا و بلاسيو السالفي الذكر بهيكلة أسقفيات في كل السجون الأخرى و بث الخدمات فيها ، و ظل برنارد دو مونروا يقدم خدماته لهذا المستشفى لغاية وفاته سنة 1622م ، و بعد وفاة هذا الأخير استفاد المستشفى من هبات أخرى عندما قدم قساوسة المهام Prêtres de la mission للإقامة في القنصلية الفرنسية سنة 1646م [1] كما خصص القنصل فيليب لوفاشي Philippe le vacher بعض التبرعات المرسلة من طرف La duchesse D'aiguillon و أحضر بعض الأدوية من باريس و مرسيليا .

و قد بعث هذا المستشفى من جديد من طرف أحد المبشرين و هو بيير(بيدرو) دو لا كونسيبسيون Pierre de la Conception (اسمه الحقيقي غاريدو ، Garrido) انطلاقا من سنة 1661م ، حيث تلقى عناية كبيرة من طرف آباء الفداء P. Rédempteurs ، اذ شيدوا به مستوصفا صغيرا و عملوا على إنشاء ثلاثة مستشفيات أخرى في السجون المتبقية . بعد رحلاته المتعددة باتجاه اسبانيا ، استقر الأب دي لاكونسيبسيون نهائيا بالجزائر ، حيث استكمل بناء مستشفياته و مستوصفاته في سنة 1667 و خصص لها عوائد منتظمة ، كما طلب من قنصل فرنسا Frère dubourdiou وضع إدارة هذا المشفى تحت تحت إشراف قساوسة المهام ، الا أن هؤلاء تخوفوا من أن تنحرف هذه المؤسسات تحت إدارتهم عن الطريق الذي رسمه له مؤسسوها ، و تنازلوا عن هذه المسؤولية لأصحاب الثالوث المقدس .

---

[1]- خشمون حفيظة ، المرجع السابق ، ص80

كانت المبالغ المالية المخصصة لهذه لكل هذه المؤسسات تدفع للقنصلية الفرنسية في صندوق حديدي coffre-fort يفتح بواسطة مفاتيح ؛ وضع الأول تحت تصرف القنصل الفرنسي و الثاني في يد مدير هذه المستشفيات .

كان المستشفى الاسباني تحت إدارة ثلاثة من رجال الدين ، أعلاهم الأب المدير Père administrateur الذي يتمتع باحترام كبير من طرف الجميع و قد شغل المنصب منذ سنة 1688 م الأب ديسبينوزا Père Antoine d'espinosa . [(1)]

كانت المستشفيات الترينيتارية بشمال إفريقيا تحت إدارة هذا المدير العام الذي يوجد مقره بمستشفى الجزائر ، و هي كلها تخضع لمقاطعة قشتالة Castilla باسبانيا ، و تتلقى الأموال الضرورية لتسييرها بصفة خاصة من صندوق طائفة الكهنوت التي تعمل لافتداء الأسرى .

لقد حرص رجال الدين الأسبان على صيانة هياكل هذا المستشفى و تجهيزها أكثر و تمتعت هذه المؤسسة بحماية السلطات الجزائرية فحسب الوثيقة المتعلقة بأقدم المستشفيات المسيحية بالجزائر ، فقد منحت لها امتيازات كثيرة تتضح لنا من خلال هذه المقتطفات من نصها : '' نحن الحاج شعبان (1692-1695) ، داي و حاكم الجزائر ، برضى و موافقة الآغا و الديوان ، و كل العسكر بمدينة و مملكة الجزائر ، نمنح الموافقة للأب كيرالت Père queralt رجل دين من الثالوث المقدس ، و هو المدير الحالي للمستشفيات التي أدخلتها مقاطعة قشتالة الى مدينتنا منذ 1551م لإنقاذ المرضى المسيحيين لاستلام الامتيازات على الشكل التالي :

- نوافق على كل الامتيازات التي وافق عليها أسلافنا .
- نأمر كل سفينة من أي أمة كانت تأتي إلى مينائنا حاملة حمولة ، بدفع أربعة باتاك Pataque للمدير العام و للمستشفى ، و يعطى كل بحار 02 ريال و كل مسيحي يتحرر يقدم 02 ريال .

- نوافق على منح رخصة للمدير العام الحالي و خلفائه بصنع الخمر من دون دفع أي غرامة مالية ، أما في حالة ما إذا زادت كمية الخمر عن الكمية المتفق عليها فيجب دفع غرامة مالية و الحقوق المعتادة .

---

[1]- خشمون حفيظة ، المرجع السابق ، ص 80.

- لا نلزم المدير العام الحالي و خلفائه بدفع أي دين لصيانة المستشفى [1]
- النقود المتعلقة باللباس و الأدوية و كل أنواع الصيانة للمستشفى و الاستعجالات المقدمة فيها يمكن أن تدخل بحرية إلى المدينة و عندها تكون معفاة من جميع الحقوق

- نوجه أمرا لكل السجون الموجودة في مدينة الجزائر و في البايلك بتسخير مسيحي لخدمة المستشفى ، و لا يتلقى مقابل ذلك أجرا شهريا .[2]

هذه الوثيقة تدل على سماحة المجتمع الجزائري و انفتاحه على أتباع الديانات الأخرى و على الأجانب ، و حرص الحكام الأتراك على احترام الحقوق الأولية خاصة منها الصحية .

3-1 قنوات التطهير و دورها في الوقاية الصحية :

تعتبر قنوات التطهير و الشبكة المائية من أهم الوسائل الوقائية ضد الأمراض خاصة تلك التي تعرف حاليا بالأمراض المتنقلة عبر المياه ، و يقول نصر الدين سعيدوني أن الحكام العثمانيين في الجزائر يعود اليهم الفضل الكبير في تنظيم القنوات و الشبكة المائية و تسخيرها في استغلال الزراعة و تلبية حاجات السكان فحرص العديد من الباشاوات و الأغوات و الدايات بالقيام بأعمال خيرية في مجال المنشآت العمرانية مثل الآبار و العيون و الحنايا و السواقي و الأحواض و الصهاريج و القنوات المشكلة للشبكة المائية [3]

و من تلك المنشآت المائية نذكر على سبيل المثال تلك التي كانت موجودة بمدينة الجزائ و هي :

- الآبار:

وقد أحصاها مورغان فيذكر أنها كانت تناهز الألف .

1- خشمون حفيظة ، المرجع السابق ،ص ص 82-83.

2- نفسه، ص 83.

3- سعيدوني ناصر الدين ، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد التاسع ، 1415هـ-1995م، ص 66.

- العيون و الأحواض :

و كانت تتميز بجمالها حتى أن بارتازان* انبهر بجمالها و قال أنها تضاهي مثيلاتها بباريس و من أهم العيون عين الأزرق (1179هـ -1766م) ، عين تيقصراين (1212هـ-1799م) ، عين سبع عيون (1223هـ - 1824 م) ، عين بئر خادم (1211هـ - 1798 م) ، عين مراد رايس (1203هـ - 1794م) ، عين الحامة (1210-1211هـ - 1794م) ، عين الصمار ، عين مصطفى باشا (1219هـ - 1805) ... الخ.

- القنوات و السواقي :

كانت تتميز برونق جمالها ، وكانت بعضها لها أنفاق تحت الأرض ، و نظرا لتكرار الهزات الأرضية و الإهمال تعرضت للتلف ، و كانت تتكون من أربعة سواقي رئيسية تزود مدينة الجزائر بما يقدر ب 5385000 لتر من الماء يوميا منها 1500000 لتر توفرها القنوات القديمة التي تعود للقرنين السابع عشر و الثامن عشر، و أهم هذه القنوات تلاواملي(1550 م) بيطرارية (1593م) ، الحامة (1611م) ، عين زبوجة [(1)] لقد كان لهذه القنوات عظيم الأثر في السقاية و التطهير و قد أبرزت الدراسات الحديثة أن إنشاء شبكة مائية و قنوات صرف المياه لعبت دورا كبيرا في الوقاية ، حيث تعد أبرز وسيلة إلى الآن لمكافحة انتشار الأمراض و الأوبئة خاصة عندما تتزايد الكثافة السكانية .

و قد ظلت مدينة الجزائر طيلة العهد العثماني تتزود بالمياه الصالحة للشرب و الاستعمال المنزلي عن طريق القنوات الأربعة الرئيسية السالفة الذكر ، حيث أنه كان من نصيب كل فرد من سكان المدينة البالغ عددهم 60000 نسمة كمية تتراوح ما بين 10 و 30 لتر يوميا من المياه ، و ظلت مدينة الجزائر تعتمد على هذه الشبكة التي ورثتها عن العهد العثماني إلى أواخر القرن 19 م 1880 رغم تزايد عدد السكان ، و قد كانت هذه القنوات محل اهتمام الحكام الذين أحدثوا لمراقبتها و صيانتها جهازا إداريا أوكلوا الإشراف إليه إلى أمين الصندوق أو خوجة العيون و وضعوا تحت تصرفه مجموعة من الموظفين من الكتاب والشواش

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين ، من المظاهر الأثرية المندثرة، المرجع السابق ، ص 71.

و أوقفوا عليه العديد من الأملاك لينفق مردودها على ما يتوجب من إصلاح و ترميم و صيانة [1] .

2- طرق التداوي ، الوقاية و العلاج :

أما العلاجات الشائعة فكانت:

- **الأعشاب** ، التي كانت تزخر بها الجزائر خاصة منطقة القبائل . و يستفيد منها المريض عن طريق شربها بعد غليها ، أو نقعها ، أو استعمالها كبخور .
- **الارتياد للمعالجة على الحمامات المعدنية الطبيعية** التي كانت تزخر بها البلاد الجزائرية.
- **زيارة المرابطين و الأولياء الصالحين** بغرض الحصول على البركة ، و ذلك بوضع أغراض شخصية داخل الضريح ثم الرجوع و أخذها بعد أيام . أو أخذ البعض من التراب المحيط بالضريح ، و المخلوط بالماء لابتلاعه ، أو جمع بعض الأعشاب من المحيط نفسه ، أو أخذ بعض البخور.[2]
- **تعليق المريض على صدره الأحراز** ، التي تشكل له مناعة ضد الأمراض ، أو تشفيه منها بحسب الاعتقاد السائد وقتها [3]

1-2 التداوي بالأعشاب :

منذ القدم و النباتات تلعب دورا هاما في الغذاء و الدواء على حد سواء . إن العلوم الحديثة من كيمياء وصيدلة استطاعت التعرف على مختلف المواد الفعالة في كل نبتة و هذا ما أتاح الفرصة لدراسة مختلف الخصائص الكيميائية و الحيوية. و الجدير بالذكر أن معظم النباتات تحتوي على أكثر من مادة فعالة و بالتالي يكون لها عدة استطبابات في آن واحد .

---

[1] - سعيدوني ناصر الدين ، من المظاهر الأثرية المندثرة، المرجع السابق ، ، ص 75 .

[2] - Soulié henri. Hygiéne et pathologie nord africaine .T2 in CCA (1830-1930) .ed.masson et cie .VI , MCM XXXII.p480.

[3]- القشاعي فلة ، الصحة و السكان ..، المرجع السابق ، ص184.

و اثبتت الدراسات الحديثة انه يوجد بالجزائر ثروة نباتية كبيرة تقدر ب3500 نوع منها النباتات التي تعود الى المناخ الحار و منها الى المناخ المعتدل , و لا يقل عن 500 عشبة متداولة بين الاهالي للعلاج و معروفة عند السكان ، و منها 100 نبات يباع لحد الان عند العشابين و في الاسواق.[1]

و لمعالجة كثير من الأمراض لجأ السكان و الممارسين إلى استخدام مختلف الأعشاب و النباتات الطبية التي كانت تزخر بها البلاد الجزائرية أثناء العهد العثماني ، حيث كانت هذه النباتات تقطف و تباع في الأسواق و الدكاكين ، الأمر الذي جعل اليهود يهتمون بتجارة العقاقير و كذلك بني ميزاب [2] ، و كانت بلاد القبائل تشتهر بثروة نباتية متنوعة حيث تعاطى تجارتها كل من اليهود و باقي سكان الايالة الذين كانوا يستعملونها في الاغلاء أو النقع كما استخدمت أيضا هذه الأعشاب كمادة أو بخور أوعلكا لفرز اللعاب. [3]

كما اشتهر سكان مناطق الشرق الجزائري باستخدام الأعشاب للتداوي ، و قد كانت لهم تجارب ناجحة في هذا المجال ، إلا عند ظهور الأوبئة الفتاكة السريعة الانتشار كالطاعون و التيفوس و الكوليرا فانهم يعجزون عن علاجها [4] و من ضمن الأدوية العشبية الشائعة عندهم المرهم الذي يصنعونه من عصارة شجر الصنوبر و القطران و البصل و زيت الزيتون و الرماد و العرعار و الزعتر و العسل و الكمون و عروق الطيب و تاسلغة الشديدة المرورة و نبات أم قرمان و الرتمة و غيرها [5] .

و من الأمراض المعالجة ألم الرأس_ بحيث كان يستعمل سكان تلمسان بخورا من أوراق الخروب ، كما استعملت أيضا أقراص الكين كينة و هذا ما أشار إليه عبد الرزاق ابن حمادوش

---

[1]- حليمى عبد القادر . النباتات الطبية . وزارة الفلاحة و الصيد البحري . تقرير يوليو 1997. الجزائر . ص 3

[2]- القشاعي فلة ، الصحة و السكان .. ، المرجع السابق ، ص 196

[3]- نفسه ، ص196

[4]- بوعزيز يحي ، الحالة الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر ، ضمن كتاب مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص 341/محمد الزين ، السابق ، ص 252

[5]- نفسه، ص 341.

و هو بالمغرب الأقصى حيث قال {{ أصابتني حمى شديدة ، فلم أستطع القراءة ، حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاث أثمان من الكين كينة }} (1)

أما بالنسبة للالتهابات الرئوية كالسل كانت طريقتهم الخاصة في المعالجة تتمثل في استعمال أغصان الدفلى كبخور (2)

2-2 الجراحة :

- **الكسور :** لمعالجتها فانه كانت تستخدم ثلاث طرق و هي الجبر بضمادة خاصة ، أو أن تقطع الرجل ، أو تكوى بالحديد الساخن ، وقد وصف الطبيب شونبيرغ إحدى هذه الطرائق بقوله : " يصب الجبس أولا تحت الرجل إلى أن يرتفع بعد ملء الأماكن غير المستوية و يلامس الجانب الأسفل من الرجل و يصبح بمثابة سند لها و توضع في الوقت نفسه قصبات تبتعد عن بعضها البعض بعدا متناسبا بحيث تستطيع بواسطة الجبس أن تحول مجرى أي سائل يمكن أن يجتمع في غلاف الجرح أو غيره ، و عندما ييبس بعد فترة قصيرة تغطى الرجل كلها بالجبس فيتكون بعد ذلك غلاف أو غشاء جبس يتيح لها أن تكون في وضع طبيعي قدر الإمكان و بعدئذ يحدث شق أو مجرى في سطح الجبس الرطب يسمح للوسائل التي يعتقدون أنها تساعد على العلاج بالمرور عليه عبر الجبس تمكنهم من نزع القسم الأعلى من الجبس. دون الإخلال بوضع الرجل و ذلك ليكون في مقدورهم إخراج النصف الأعلى من الغلاف ، و تجديده ، و فحص أجزاء الأرضية الجبسية تسمح لهم بذلك أيضا... "(3)

- **الجروح :** خاصة الناجمة عن الأسلحة النارية و البيضاء فكانوا يعالجونها بطرق مختلفة حيث كانوا يضعون الزبدة الطرية على الجرح بعد تسخينها ، كما كانوا يستعملون أوراق الصبار بعد تحميصها ربع ساعة في الرماد لمعالجة الأورام و الالتهابات و القرحة و النقرس ، أما نبتة الماغرامان فكانت تستعمل لمعالجة الجروح و للتخفيف من آلام الحوض فكانت توضع منها كمية

---

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش ، المصدر السابق، ص 84.

[2]- شونبيرغ أف ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال ، ط 1، ترجمة أبو العيد دودو ، منشورات وزارة الثقافة ، مديرية الفنون و الأداب الجزائر 2004 ، ص 4.

[3]- نفسه، ص 51-52

بعد تسخينها على مستوى حوض المريض ، و تحزم بحزام من الصوف أو القماش و هناك مجموعة أخرى من النباتات الطبية يحضرون منها مشروبا ساخنا يتناوله المريض. (1)

• **التربنة :** تشير الدلائل أن ممارسة عملية التربنة (النقب) والتي هي عبارة عن عملية جراحية يتم خلالها ازالة جزء من قبو الجمجمة باستخدام مقدح يدوي أو أداةٍ أخرى للقطع تعود الى فترة ما قبل التاريخ ، وذلك لاستخداماتٍ طبية عديدة وقد استخدمت لعلاجات عدة منها المنطقي ككسور الجمجمة والتشنجات و ازالة الورم الدموي تحت غشاء الجافية (من طبقات السحايا) و إخراج الأرواح الشريرة من الرأس اعتقادا انه عندما يعاني الإنسان من مرضٍ عصبيٍ أو روحي أو بدني أو نفسي فان فتح ثغرة في الجمجمة يصبحُ أمراً ذا جدوى. و تعد هذه العملية من أقدم التقنيات الجراحية التي عرفها الإنسان و تبرز الأبحاث أن إنسان ما قبل التاريخ قد مارسها كوسيلة علاجية منذ العهد النيوليتي* و ظهرت أولا في جزر الكناري**(2) ثم انتشرت في كل أنحاء العالم ابتداء من قارة إفريقيا في شمالها و شرقها خاصة إضافة إلى قارتي أوروبا و أمريكا الجنوبية و قد مورست التربنة منذ عهودٍ تاريخية بالغة القدم في المغرب القديم و في الجزائر في منطقة الاوراس على الخصوص.(3)

فبإمكاننا القول عن التربنة ، أنها من الموروث الثقافي و الاجتماعي كوسيلة علاجية توارثتها الأجيال في الجزائر خاصة في الأوراس منذ أكثر من ألف سنة، و اشتهر بها سكان المنطقة و مورست حتى في المناطق النائية مثل جبال شرشار، لقد كانت نتاج و حوصلة لتطور ممارسة هذه التقنية كما بدأت في العهد النيوليتي* و تلقحت و أصبحت أكثر علمية

[1]- الزين محمد ، المرجع السابق ، ص 253.

* و يقصد به العصر الحجري الحديث و الذي انتقل فيه الانسان من حياة الترحال الى حياة الاستقرار و مزاولة الزراعة و تربية الحيوانات و يمتد من سنة 10000 الى 5500 ق م: www.arab-ency.com الموسوعة العربية / arab encyclopedia، تم زيارة هذا الموقع يوم 2015/05/16.

** و تطلق عليها ايضا تسمية كناريا، و هي مجموعة من 13 جزيرة تابعة لاسبانيا تقع في شرقي المحيط الاطلسي على بعد 95 كلم من ساحل شمال غربي افريقيا ، و تمتد بين خطي عرض 28-30 شمالا و بين خطي طول 13-18 غرب غرينيتش: نفس الموقع الالكتروني.

[2] - Rawlings CE, Rossitch EJ. The history of trephination in Africa with a discussion of its current status and continuing practice. Surg Neurol 1994;41:507-13.

[3] - Hilton simpson .Op cit .p31

و منهجية باحتكاك سكان المغرب بالطب العربي الإسلامي و بأفكار أبو القاسم الزهراوي الذي يعد الرائد في جراحة الأعصاب عامة و التربنة خاصة. و كانت الطريقة المستخدمة من طرف السكان و التي تداولتها الأجيال حتى خلال العهد العثماني ترتكز على العناصر الآتية : فتح الرأس / احداث ثقب بعظم الرأس / عدم اجتياز الغشاء الأم .. كل هذه العناصر مستمدة من توصيات أبو القاسم الزهراوي.(1)

- **التوليد:** كان في الفترة العثمانية من اختصاص القابلة التي ورثت المهنة من جدتها و اكتسبت مع الممارسة تجربة كبيرة تعتمد عليها في مزاولة عملها، أغلبهن لم يكن لهن تكوين معين وانما تلقين سر المهنة مع الممارسة والنصائح، فعندما يجيء المخاض عند المرأة الحامل تتكفل بها القابلة و تعاينها خاصة عن وضعية الجنين، و تراقب تطور عملية الولادة، وبعد خروج المولود الجديد يقمن بقطع الوريد و طلائه بالكحل حيث تم القطع ثم يتم لف المولود و عدم غسله و كانت القابلة تنهي عملها بتأكدها من خروج الخلاص وعندما تلاحظ عدم خلو الرحم فإنها تقوم بإدخال يدها في الرحم و تجريده و اخراج كل ما كان بداخله (2) و الغريب أن هيلتون سيمبسون يقول أن جل الممارسين الذين سألهم عن القيصرية أنهم لم يمارسونها اطلاقا و يجهلون وجودها (3)

3-2 الصحة النفسية : ما هو جدير بالذكرهو انتشار الخرافات و الاعتقادات في القوة الروحية للاولياء و الصالحين لاستئصال و علاج بعض الامراض المستعصية، حتى اضحت زيارة بعض المقابر و الاضرحة محج و مقصد الناس من امراض مختلفة عنصرا من الوصفة الطبية , وهذا ينطبق خاصة في الصحة النفسية من كآبة و قلق و عقم و امراض مزمنة، وكان الاعتقاد السائد ان جلب التراب من ضريح الوالي الصالح و تبليلها مع الحنة و طلائه على الجسم يمكن الشفاء، و كان الاعتقاد ايضا هو ان المرض غالبا ما هو الا نتيجة العين او الحسد او فعل الجن ، ففي تلمسان كان الناس الذين يعانون من مرض العيون يزورون سيدي محمد

---

[1] - A. El Khamlichi, M.D , AFRICAN NEUROSURGERY PART I:HISTORICALOUTLINE. Surg Neurol 1998;49:222-223.

[2] - khiati , op cit , p 69

[3] - Hilton simpson, op.cit ,.p59.

بن يعقوب قرب الوريط و ياكلون من شجرة الزيتون المتواجدة فيشفون من مرضهم، و من كان يشتكى من الحمى عليه بزيارة سيدي القيسي ثلاث أيام متاتلية قبل الفجر و بعد المغرب و يلتقطون الاوراق التي تساقطت على القبة و يحرقونها في منازلهم , اما سيدي الانجاسي فكان يشفي من الحمى . وفي البليدة سي علي قيور يشفى من الشلل و صداع الراس[1]، و في مقبرة اليهود بتلمسان كان الناس يقصدون قبر امراة ماتت مقتولة فيقال انها كانت تشفي الاطفال الذين يعانون من مرض سعال الديك , فيطرح الطفل على الارض وياتى بسكين و يجر عليه و كانه يذبح.[2]

و كان الناس في نواحي غزاوت يؤمنون أن من يشرب من عين سيدي محمد المستاري يشفى من الحمى، جبل كوكو يزور الناس قبر سيدي عبد الرحمان الزواق الذي كان في حياته طبيب واشتهر بشفاء داء المفاصل و جبر كسر العظام ، و في باب الواد ، كانت تعالج آلام البطن عند الاطفال بالتقاط حجرة من عند هذا الوالي الصالح و جعلها في فراش الطفل المريض ، و غير بعيد عنه يوجد سيدي مجبار الذي كان يشفى الالتهابات بالصدى و ذلك بعد ان يكوى، يتم اخراج الصديد ثم مسح الجرح بالريشة . و على بعد 13 كلم من مدينة ندرومة توجد زاوية أولاد سيدي بن عمرفي قلب جبال تراراس و التي اسسها سيدي محمد بن عمر الذي كان ادريسي الاصل و تلقى الحكمة و العلم و سر شفاء ألم النسا (sciatique) من شيخ من بطيوة و ما زالت طريقته متاورثة حتى الان و يكمن تداويه في ثقب الاذن من جهة الالم و عقد فيها سلك و هي طريقة تشبه ما يستعمله الطب الصيني في المعالجة , و يزعم ان الزاوية يقصدها الناس لتشافي من لسعات الافاعي و عضات الكلاب و مرض العقم و امراض القلب [3] ، و يمكننا أن نقول أن هذه المداواة تشبه لحد كبير ما يستعمل في الطب الصينيى عن طريق غرز الابر (acupuncture) .

لقد كانت الصحة بين أيدي الطلبة ، و المرابطين ، الذين توارثوا طرقا تقليدية عن آبائهم ، و أجدادهم .بالاضافة للسحر و الشعوذة ، اللذين كانا منتشرين في الأوساط الشعبية . و من ناحية

[1] - Emile dermenghem , le culte des saint dans l'islam maghrébin, edition gallimard , 1954 ,p130

[2] -ibid, p 131.

[3] - SHAW,op.cit,p84

ثانية ، كانت الأمراض تفسر على أنها مرتبطة بالقدرة ، و الارادة الالهيتين ؛ بحيث أن الله يعطي المرض و يشفي المريض اذا شاء ايمانا بالآية بعد قوله تعالى : و هذا راجع الى أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت تخلو من أي تعليم طبي ، و من أطباء يتقنون المعارف الطبية على غرار ما كان موجودا في أوروبا . و لذلك كانت حرفة العلاج حرفة يمارسها من يشاء بفعل الهواية و الحاجة ، و غالبا ما كان الشخص المكلف بعلاج المرضى شخصا يجهل القراءة ، و الكتابة ، و المعارف الطبية .(1)

3- الوضع الصحي و الاستشفائي مقاربة للواقع الاجتماعي:

3-1 الاجراءات الصحية للسلطة الحاكمة

هل كانت هناك سياسة صحية للسلطة الحاكمة ؟ هذه هي الإشكالية التي طالما بحث فيها العديد من المؤرخين الذين اهتموا بهذا الموضوع , و إن كان جلهم يذكر انعدامها , فيرى البعض أن موقف الحكام في الجزائر العثمانية من الأمراض ، تراوح ما بين الإهمال و اللامبالاة ، بحيث أنهم سعوا إلى جلب الأطباء لأنفسهم ، و حاشيتهم (2) ، و يقول ابو القاسم سعدالله بالنسبة لموقفهم من الأوبئة والأمراض ، فاننا نجد تقصيرا كبيرا ، و يعود ذلك إلى عدم وجود سياسة واضحة لمواجهة مثل هذه الوضعيات الصحية و في بعض الأحيان يفرون من الوباء مع عائلاتهم إلى مناطق معزولة عن السكان ، و لا يعودون إلا بعد اختفائه مثل ما فعل عثمان باي وهران سنة 1794 م ، و هناك من رأى أنه عقاب من الله لعباده (3) و يزيد ويقول أنه بينما كان الباشوات و البايات يجلبون الأطباء لأنفسهم و يؤمنون بقيمة الطبيب الأوروبي فكانوا لا يهتمون بصحة السكان عموما ، تاركين العامة للطب التقليدي.(4)

صحيح أنه لم تكن توجد سياسة صحية واضحة المعالم و محكمة غير أنه كان في المقابل إجراءات صحية و عمل البعض على اتخاذ تدابير وقائية ، وبذل بعضهم جهودا في تأسيس

---

[1]- القشاعي فلة ، الصحة و السكان.. ، المرجع السابق ، ص148.

[2]- نفسه ، ص 186

[3]- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، المرجع السابق ، ج2 ، ص 431.

[4]- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 419.

بعض المصحات و الملاجئ و الصيدليات ، و اتخاذ بعض التدابير الصارمة خاصة في فترات الأوبئة كفرض نظام الحجر الصحي على القادمين نحو مدينة الجزائر [1]* ، كما لا ينفي وجود بعض الحكام الذين بذلوا النفس و النفيس لمنع انتقال العدوى إلى قسنطينة .[2]

ومن أهم هذه الإجراء ات :

- نذكر في المجال الصحي جهود حسن آغا ابن خير الدين ، الذي أمر ببناء مصحة أو مستشفى صغير للانكشارية ، و الشيوخ ، و العجزة بتاريخ 20 جوان 1544. و كان هذا المستشفى مكونا من خمس غرف ، اثنتان منها في الطابق السفلي ، و الأخرى في العلوي . غير أن المريض كان ملزما بإحضار فراشه ، دوائه ، غذائه ، و طبيبه الخاص إلى هذه المصحة.[3]

- انشاء مرافق صحية في مدينة الجزائر و ان كانت تعد أفقر الولايات العثمانية ؛ اذ كانت مستشفياتها عبارة عن ملاجئ و مصحات صغيرة قل ما وفرت العلاج للمريض ، كما كانت تؤجر لبعض الخواص لعلاج الانكشارية ، و قد كانت تسمى فنادق[4]، بالإضافة الى ملجأ للأمراض العقلية وجد في ضاحية باب عزون. [5]

- تشجيع السلطة العثمانية في الجزائر للزوايا التي تكفلت بالصحة العمومية ، بحيث كانت مسؤولة عن مصاريف المرضى ، معتمدة على مداخيل الأوقاف[6] و مصاريف العلاج و الاسعاف التي كانت أيضا من مداخيل الأوقاف. [7] كما كانت الزوايا تضم مكتبات بها كتب في الطب وهي عبارة عن مجموعة صيغ تحوي العلاج للأمراض و أعراضها [8] . لقد أحصى

---

[1]- القشاعي فلة ، الصحة و السكان .. ، المرجع السابق ، ص105.

*و يقصد به نظام الكرنتينة ، وأصل الكلمة فرنسي مشتق من الكلمة quarantaine ، أي الحجز الصحي لمدة 40 يوما: الزهار، المصدر السابق، ص 186.

[2]- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و أبحاث ، المرجع السابق ، ج2،ص 560.

[3] - Diego de haedo , topographie …,op.cit p85

[4]- القشاعي فلة ،الصحة و السكان .. ، المرجع السابق ، ص 202 .

[5]- غطاس عائشة ، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة الثقافة ، عدد 76 ، الجزائر ، 1993 ، ص 128.

[6] - نفسه ، ص 125.

[7] - Boyer P. l'évolution de l'algérie médicale de 1830 à 1956 ; librairie d'amérique et d'orient.paris .1960. p 75 .

[8] -Lamarque.L , op cit, p .50.

رين (Rinn) أكثر من 355 زاوية، [1] و قد لعبت هذه الزوايا دورا كبيرا في التواصل والتضامن الاجتماعي خاصة في الأرياف، و أضحت قطبا هاما في نشر التعليم، الى جانب دورها في الخدمات الصحية كما هو الحال لزاوية سيدي قدورة بمدينة الجزائر، مخصصة لاستقبال الفقراء من العلماء، كما تخصصت زاوية أولاد الفكون و زاوية رضوان خوجة في استقبال أبناء الكراغلة والعثمانيين بمدينة قسنطينة، ونفس الحال كان بزاوية سيدي الحلوي الأندلسي بتلمسان، وزاوية تيزي راشد ببجاية والتي تتلمذ بها باي التيطري المشهور بالذباح.[2]

- انشاء الصيدليات، فكانت هناك واحدة بمدينة الجزائر تحوي مجموعة من القناني ، و الكؤوس الحاوية على العقاقير و التوابل ، و يشرف عليها **باش جراح** ، و الذي كان صيدليا و طبيبا و جراحا في نفس الوقت . اضافة الى بعض الدكاكين ، التي كانت تبيع أنواعا من الأدوية المستخرجة في معظمها من النباتات ، مثل الصبر ، الحلبة ، و القرنفل [3] وكانت توجد بالقرب من قصر الداي في مكان يدعى الجنينة.

- انتهاج السلطات العثمانية سياسة محكمة في إنشاء و صيانة و تزويد المدن الجزائرية بالماء للسقاية و تلبية الحاجات الضرورية من شرب و تطهير و نظافة و هذا بإمكاننا إدراجه في إطار السياسة الصحية للأتراك ، كون انعدام سياسة في إنشاء شبكة مائية و قنوات لصرف المياه عامل رئيسي في تنقل الأمراض و انتشارها خاصة إذا ما زاد عدد السكان و ظهور مدن جديدة مما يزيد من الحاجيات الأولية للسكان ، في نفس الوقت مع هذا التزايد السكاني تزيد نفاياتهم فتكثر الأمراض، يرى مولاي بلحميسي أن تطور مدينة الجزائر في العهد العثماني أدى إلى تزايد السكان و حاجياتهم و التي تصدى لها حكام الجزائر من الأتراك بصيانة الشبكة المائية و القنوات و تخصيص جهاز إداري لها و كأنه مؤسسة صحية وقائية، و استغلال وجود الأندلسيين و الأسرى الذين كان فيهم عدد كبير ممن يتقن أسس الري و تطهير المياه،

[1] -khiati op cit p 61

[2]- سعد الله، أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ص 262 - 263 .

[3]- غطاس عائشة ، المرجع السابق ،،ص 128

و قد اقترنت أسماء بعض الأندلسيين بالمشاريع الكبرى للري،[1] و عن قنوات صرف المياه القذرة فانها لم تكن موجودة في القرن 16 م و بدأ في بناءها أحمد عرب باشا في سنة 1572 م و قد شهدت سنة 1634 م بحفر أكبر القنوات وجعل البلاط على الوديان لصرف المياه و بناء قنوات جديدة[2]،و زيادة على انشاء جهاز اداري لصيانة قنوات التزود من المياه الصالحة للشرب و قنوات صرف المياه فان المسؤولين الأتراك لم يغفلوا من تأمين المنشأت المائية فهذا الأب هايدو يقول في القرن 16م (اذا ما حصل اعتداء على مدينة الجزائر فمن السهل قطع المياه و بذلك فان ثلث السكان سيفتقدون الماء)، [3] هذا ما لم يغفل عنه المسؤولين حيث أقاموا نقاط المراقبة التي كانت مسلحة لتأمين هذه المنشأت [4] و يختم الأستاذ مولاي بلحميسي انه عاشت الجزائر في الفترة العثمانية بدون اشكالية الماء و ذلك بفضل تضافر جهود المسؤولين والسكان فكان فيه استعمال عقلاني للموارد المائية من العيون و الأبار و انشاء مؤسسة تشريعية و جهاز اداري مهمته الوقوف على السير الحسن لهذه المنشأت [5]

- الاهتمام بنظافة المدينة والتي كان لها دور هام في الوقاية و كانت هناك هيئة خاصة يشرف عليها قايد الزبالين مهمتها جمع النفايات [6] فهذا عالم الرياضيات لاكوندامين يقول ان في الجزائر نظافة و لا نجد قمامات الاوساخ مثل ما نراه في مدينة تولون[7].رغم أنه هناك بعض الشهادات عن مدينة الجزائر التي تقول أنه كان بها شوارع قذرة و ضيقة بعضها لا يتسع حتى لاثنين من المارة للمرور بسهولة ، و في الشوارع الأكثر اتساعا كان الرجل يزاحم الجمال و الخيول و الحمير و كثرة الفئران، و كان أنفه يصعق بروائح الدمن و الزبالة

[1] - moulay belhamissi.Alger par ses eaux XVIème – XIXème siècles . ed .houma 2004 .p43
[2] - moulay belhamissi .op cit .p65
[3] - Diego de haedo , topographie …,op.cit p85

[4] -moulay belhamissi.Alger la ville aux milles canons . ed .houma 2004 .p43.
[5] - moulay belhamissi.op.cit ,p75.

[6] - venture de paradis .op cit . p 222.
[7] - Emerit. M , le voyage de la condamine à alger (1731), Revue Africaine,n 16, année1954, pp 358-359

و القاذورات . و من الأكيد أن هذا لم يكن أمرا غير عادي بالنسبة لأية مدينة في أوائل العصور الحديثة. فقد قيل أن المرء كان يمكنه أن يشم الروائح الكريهة لمدينة باريس على مسافة خمسة أميال اذا كانت الريح في اتجاهه، حتى ان الذين عرفوا مدن نابلي و مارسيليا و برشلونة و غيرها من مدن المتوسط الشمالية كثيرا ما تحدثوا عن الجزائر حديثا يجعلها بالمقارنة أفضل من تلك المدن المسيحية المرفئية [1] ، الا أننا من خلال هذه الشهادات نستنتج أن الجزائر كانت أنظف من المدن الأوروبية المتوسطية .

- ومن المنشآت التي لعبت دورا أساسيا في النظافة وجود عدد كبير من الحمامات في الجزائر و اقبال السكان عليها حتى أضحت من ملامح الحياة اليومية في الجزائر طالما تكلم عنها كثير من الكتاب الأجانب و تعد من الموروث الثقافي و الاجتماعي للجزائر، فالاب هايدو يقول انها تزيد عن60 و ما كان يلفت الانتباه هو الجمال المعماري لهذه الحمامات، و في سنة 1550 قام حسان ابن خير الدين ببناء حمام يعرف باسمه، ، فقد اتفق جميع الزوار على مدح هذه الحمامات العمومية ، و التي من الواضح أنها تعود الى فترة الرومان منذ قرون خلت. [2]

- لقد ضبطت السلطات التركية مراكز البغاء وأوكلت لها مشرفا أو مزوار و هذا الاجراء كان له الأثر في عدم انتشار الامراض المتنقلة عبر الجنس، وان كان فنتير دو بارادي يرى ان هذا الاجراء الوقائي اتخذه الحكام نزولا لرغبات الانكشارية الذين كانوا يمنعون من الزواج وتشجيع السلطة العثمانية على حياة العزوبية في الأوساط العسكرية، الأمر الذي أدى بالانكشارية إلى الانغماس في حياة المجون، وقد شجعته الدولة على ذلك بتوفير البغايا لإمتاعه جنسيا و كانوا يكترون غرفا بالفنادق لاستقبال هؤلاء النساء [3]

و يقول" سيمون بيفايفر" أن الدولة" كانت تغري المجندين الجدد من الأتراك بالحضور إلى الجزائر حيث يباح لهم أن يتمتعوا بحياة داعرة لا رادع لها ولا واعز [4]

---

[1]- جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص 150 -151.
[2]- نفسه ، ص 152.

[3] - Ventures de Paradis, Op.cit, p225

[4]- سيمون ابيفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب الدكتور أبو العيد دود، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص 92 .

فانتشر البغاء الذي أخذ شكلا رسميا في الجزائر، ولتنظيم ذلك العمل كلف موظف سامي خاص عرف ب "المزوار"، بتنظيم عمل البغايا، وهو يشبه مدير الشرطة القضائية، له سلطة مطلقة على هذا النوع من النساء، حيث يقوم بتسجيل اسم الفتاة التي تتجه لهذا العمل في سجل خاص، و كان عدد البغايا حسب هايدو كبير بمدينة الجزائر[(1)]

و الخلاصة فان الأتراك باجرائهم هذا و اتخاذهم البغاء حرفة رسمية منظمة استطاعوا أن يمنعوا انتشار الأمراض المتنقلة عبر الجنس و ان لم يكن ذلك هدفهم الرئيسي.

- و من الاجراءات الصحية يمكننا اضافة قاعدة صحية كان معمولا بها ذكرها فونتور دو بارادي و هي منع دخول أي جثة للدفن مات صاحبها خارج المدينة ، و اذا مات رايس في البحر أو في المرسى خارج الأسوار فان جثته تنقل للمقبرة عن طريق البحر. [(2)]

- و بخصوص الحد من انتشار الأوبئة خاصة الطاعون اتبعت السلطة في كثير من الأحيان سياسة الحجر الصحي حيث أن الأوضاع الصحية التي كانت سائدة في البحر المتوسط خلال تلك الفترة كان لها تأثير على الاتصالات بين مدينة الجزائر ومدن أخرى مثل مدينة الاسكندرية التي مثلت دوما مصدرا للطاعون حيث أن الرحالة و الأسير جوزف بتس لما رافق سيده الجزائري التركي للحج من الجزائر الى الحجاز أصيب بالطاعون بالإسكندرية عند عودتهما ، لكنه شفي بالجزائر[(3)] .

و ان السبب في ظهور هذا المرض و خروجه من الاسكندرية بصورة شبه دائمة هو أنها كانت ميناء كبير و ملتقى مختلف الأعراق و الأجناس من حجاج و تجار و طلبة علم و قناصل و سفراء مغامرين، فرغم اتخاذ الاجراءات المشددة لمراقبة الحالة الصحية للمسافرين و خاصة الحجاج الا أن رحلة الحج ظلت محفوفة بمخاطر انتقال عدوى الوباء الى البلاد الجزائرية سواء عن طريق القوافل أو بواسطة السفن التي كانت تربط مدينة الجزائر بموانئ البحر المتوسط و خاصة استانبول و الاسكندرية ، فالعديد من الاشارات الواردة في الرحلات أو في تقارير

---

[1] - HAEDO (F), Topographie.., Op.cit, p311.

[2]- المدني أحمد توفيق ، المرجع السابق ، ص 200.

[3]- جوزف بتس ، رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) ، ترجمة و دراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، دط ، الهيئة المصرية العامة ، دم ، 1995 ، ص 8.

القناصل منذ أواخر القرن 17 م و حتى منتصف القرن 19 م ، تؤكد تكرر ظهور الوباء مع قدوم السفن الحاملة للحجاج ، فوباء سنوات 1230-1233 هـ / 1816-1818 م الذي حملته الى مدينتي عنابة ثم الجزائر سفينة حجاج عثمانية من نوع بولاكر polacre قادمة من الاسكندرية ، تميز بحدته و كثرة ضحاياه ، بعد أن انتشرت عدواه من مدينة عنابة الى مدينة الجزائر (جوان 1817 م) ، لتعم المناطق الساحلية و الجهات الداخلية من البلاد الجزائرية ، و قد أورد القنصل البريطاني بوهران أن هناك أشخاصا كثيرين كانوا يموتون بالشوارع بسبب هذا الطاعون و لعل هذا ما دفع الى الاقبال على الحج طلبا للأجر و هربا من عدوى الطاعون فقد ذكر نقيب اشراف الجزائر الزهار " أنه في هذه السنة التي تولى فيها الداي حسين باشا (1233هـ /1818م) ذهب الناس أفواجا للحج و منهم الفقير الى ربه (أي نقيب الأشراف) [1]

و كان الوباء قد اشتعلت ناره ، و في يوم سفرنا وقت الضحى تم دفن مائة جنازة " و في هذه الظروف أصبح نظام الحجز اجراءا ضروريا ، فلم يعد يسمح بنزول الحجاج من السفن عند انتشارعدوى الوباء حتى يتأكد من سلامة الحجاج من الطاعون ، فقد كان قائد المرسى بمدينة الجزائر و مساعدوه يمنعون الحجاج من دخول مدينة الجزائر أو التوجه الى الأقاليم الداخلية الا بعد التأكد من عدم اصابتهم بعدوى الطاعون . و هذا ما سجله عبد الرزاق ابن حمادوش في رحلة لسان المقال حيث أنه قال بهذه العبارة : " و في ثالث رجب 1157هـ /1744م) قدم علينا مركب من الاسكندرية حاملا الحجاج و فيه الوباء ، فمنعهم الباشا (داي الجزائر) الدخول خشية انتقال المرض الى المدينة ، الى ثامن عشر من نفس الشهر فأذن لهم في الدخول بعد تحقق سلامتهم من المرض المذكور "[2]

يمكننا من خلال دراسة هذه الاجراءات الصحية أن ندرج بعض الملاحظات عن علاقة السلطة بالسكان في الجزائر خلال العهد العثماني ، ان الأتراك جاؤوا الى الجزائر نتيجة عوامل داخلية و خارجية ، أبرزها :

تفكك سياسي و عدم وجود سلطة مركزية

التحرش الاسباني الذي أخد طابعا دينيا

---

[1]- الزهار ، المصدر السابق،

[2]- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و ترجمات في تاريخ المشرق العربي ، دط ، دار البصائر ، الجزائر ، 2012، ص ص 208-209.

فلقد جاؤوا تلبية لاستنجاد أهالي الجزائر من الخطر الاسباني ، غير أنهم سرعان ما لبثوا فيها و استقروا بها و سعوا بكل الوسائل الى تكريس هيمنتهم، و كان هدفهم الأول هو اقرار الأمن و ابقاء مقاليد الحكم في أيدى العنصر التركي أو المتأترك من الأعلاج ، فتشكل بالتالي نظام عموده الفقري المؤسسة العسكرية تبلور مهامه أساسا في حفظ الأمن و حماية السكان ومراقبة النشاط الاقتصادي و التعامل الاجتماعي [(1)]، فنتجت علاقة فريدة من نوعها بين السكان و السلطة الحاكمة في تسيير شؤون الرعية ، أخدت في أغلب الأحيان أسلوبا لا يخلو من القسوة و التعسف ، ان الهدف الأساسي للحكام العثمانيين كان اقرار الحكم و المحافظة على الهدوء و الطاعة و لو باستعمال العنف و الاكراه ، و ضمان استخلاص الجباية لتموين الخزينة بشتى الوسائل و الطرق ، و المحافظة على وضع اقتصادي و علاقات اجتماعية تضمن امتيازات الجماعات الحاكمة و نفوذ المتعاونين معها على حساب غالبية السكان المؤلفة من الحضر و البرانية بالمدن و الرعية في الريف. [(2)]

وقد نجحت السلطة في سياستها في اقرار الأمن الذي كانت تتمتع به الجزائر و ليس أدل عن ذلك من حسين الورثيلاني" الذي افتخر بالأمن الذي كان يسود بالأراضي الجزائرية، عكس الأراضي التونسية، بقوله أن الحجاج عانوا من الوضع الأمني بالأراضي التونسية ولم يتنفسوا الصعداء حتى دخلوا الأراضي الجزائرية "فسرنا أياما في عافية إلى أن وصلنا إلى قسنطينة" [(3)]

غير أنه ان نجحت سياسيا في تثبيت الأمن و اقراره ، فإنها لم يكون لها مشروع أمن صحي بتوفير خدمات طبية و علاجية و وقائية تتكفل بها الدولة و لم تصدر عن السلطة القائمة آنذاك قرارات بانشاء جهاز اداري مهمته الوقوف على الحاجيات الصحية للسكان فلم تكن الصحة من مهام السلطة و لا من أولوياتها.

و من هنا نستخلص أن الاجراءات الصحية التي قام بها الأتراك تندرج في اطار أهدافهم في تكريس هيمنتهم و المحافظة على امتيازاتهم ، فكان هناك طب للأتراك حيث أوكلت السلطة الحاكمة الى الباش جراح الوقوف على حاجيات الجنود الأتراك الصحية و التصدي لأي مرض

[1]- سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات و أفاق ، المرجع السابق ، ص170 .

[2]- نفسه ، ص 173.

[3]- الورتيلاني الحسن بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي الشنب، ط 2 . دار الكتاب العربي، بيروت، 1394 ه/ 1974 م، ص 685.

يتفشى في أوساط الجنود، و يقول عنه شاو " سألني يوما طبيب الداي و الذي هو أمين الأطباء ان كان المسيحيون يعرفون بوقراط الذي هو أول حكيم عند العرب و أنه عاش قبل ابن سينا بقليل " [1] ، وكان نوعا من الازدراء للثقافة الطبية للباش جراح .

من الملاحظ أن الأتراك قاموا بإنشاء مصحات أو ملاجيء ، و لكن كان المريض فيها ملزما بإحضار فراشه ، دوائه ، غذائه ، و طبيبه الخاص ، ان جل هذه الاجراءات كانت تنطبق خاصة على المدن و عاش الريف منعزلا عن الحكام و تكفلت الزوايا فيه بالحاجيات الصحية بتشجيع من السلطة و ذلك بهدف اقرار الأمن.

لقد تميزت علاقة السلطة العثمانية بسكان الريف، إما بالنفور والعداوة، وإما باللامبالاة بين الطرفين، حيث كان تواجد الإنكشاري بالريف يعني نهب وسلب سكانه، فكان الريفي لا يعرف التركي إلا من خلال أعمال المحلة التي كانت تمر على قبيلته فلا تترك وراءها غير الخراب والأسى، وبما أن الضريبة كانت الرابط الفعلي بين مركز السلطة وبين سكان الريف، والمنفذ لعملية جباية الضرائب هم رجال المحلة، فإن عملية الجباية هي نقطة تلاقي الطرفين، وهي السبب في هذا التنافر.[2] ، . وهو ما جاء في رحلة الورتيلاني، اعتمادا على العياشي، في وصفه لمدينة بسكرة بقوله:"ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها... إلا أنها ابتليت بتحالف الترك عليها وعساكر العرب فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة إلى أن بنى الترك حصننا حصينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة فملكوا البلد وأضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج... واجتمعت عليها غارات العرب من خارج كذا وظلم الترك من داخل كذا وقد أشرفت على الخراب وقاربت أن تكون قفرا يبابا.." [3]

وبالتالي لم تكن الصحة في الريف من مسؤولية السلطة العثمانية و ما كان على سكان الريف الا اللجوء الى الطب الشعبي اذا ما طرء عليهم مرض . ففي وصف "Peyssonel" لسلوك رجال المحلة تجاه سكان الريف يقول أن رجلا واحدا من الأتراك كان يخيف عرشا بكامله، إذ كان يقوم بضرب هؤلاء التعساء الذين يفقدون رجولتهم أمام التركي، ويتعجب الرحالة من قساوة هؤلاء ضد العرب.

---

[1] - shaw, op.cit, p78.

[2]- معاشي جميلة ، المرجع السابق ، ص 102 .

[3]- الورتيلاني ، المصدر السابق ،ص ص 88 – 89

و يقول هايدو أن الإنكشارية، عكس الرياس، كانوا يسومون الرعية سوء العذاب عند مشاركتهم في المحلة، حيث كانوا يعيشون على نهب الأراضي التي تمر بها المحلة وقد يصل الأمر إلى خطف أطفالهم ونسائهم.[1]

لقد سلكت السلطة إستراتيجية سياسة المحافظة على الوضع (statu quo) وتعني عدم التدخل في الشؤون الداخلية للرعية، واحترام عاداتها وقوانينها العرفية، وعدم المساس بسيادة حكامها المحليين في مختلف الأقاليم ،أي الاكتفاء بالتبعية الرسمية للسلطة المركزية، وكان دفع الضريبة هو رمز هذه التبعية. [2]

ان هذا السلوك للأتراك في عدم التدخل مباشرة فيما يخص الشؤون الصحية للرعية و عدم انشاء مؤسسات و هيئات كفيلة مهامها الرعاية الصحية و توفير الخدمات الطبية و الوقائية كان من نتائجها :

- أن مهنة الطب كانت حرة بدون رقابة مما جعل الأطباء أجانب أو محليين يمارسون و يعملون بكل حرية و لم يجبروا على دفع الرسوم و الضرائب.
- في غياب الرقابة عرف الطب بعض الدخلاء على المهنة الذين استغلوا العامة ، فوجد الطبيب و المشعوذ و الطالب و الراقي و الحلاق الجراح مما أثر على تدني مستوى الخدمات الصحية .
- وجود ممارسة لثلاث أنواع من الطب ، الطب الشعبي : و هو الطب الشعبي الذي كان أكثر انتشارا في الريف و مارسته بعض الفئات الاجتماعية من سكان المدن وهم خاصة من الحضر و البرانية ، الطب الأوروبي :الذي ظهر مع الأسرى و الأعلاج ولجأت اليه الفئات الميسورة من المجتمع من أتراك و محليين زيادة على الأوروبيين ، طب الأتراك الذي كان موجها للجنود الأتراك .
- احساس سكان الريف بالاقصاء و الاجحاف خاصة في أوقات الأوبئة و الكوارث الطبيعية حيث تزداد حاجيات السكان للخدمات الوقائية و العلاج و الرعاية الصحية ويزيد عدد الوفيات خاصة عند الأطفال ، فكانت قلة الأولاد داخل الأسرة السمة المميزة لمجتمع مدينة الجزائر في

---

[1] -HAEDO, Topographie…, Op.cit, p 509

[2]- معاشي جميلة ،المرجع السابق ، ص 128 .

العهد العثماني ، ويرجع ذلك من غير شك إلى عوامل متعددة ولكن أبرزها وأقواها يتمثل في انتشار الوفيات في المجتمع بسبب انتشار الأمراض والأوبئة وضعف الرعاية الصحية عامة [(1)]

- عدم وجود مشروع حضاري يضم سياسة صحية و وقائية الا في بعض الحالات الاستثنائية خلال العهد العثماني كعهد الباي محمد الكبير ، حيث يقول أبو القاسم سعد الله أن هذا الأخير قد أولى اهتماما بالطب و شجع العلماء على الاهتمام به و التأليف فيه ، فكاتبه أحمد بن سحنون يقول أنه كانت له اليد الطولى في الطب و أنه كان يصف للناس الدواء و يدفع لهم ما حضر منه ، حتى أن المساكين كانوا يفزعون اليه كما يفزعون الى طبيب ماهر. [(2)]

2-3 غياب تشريعات و سلطة لضبط مهنة التطبيب و المداواة :

ان فترة وجود الأتراك في الجزائر تزامنت مع صحوة و نهضة عرفتها أوروبا و بدأت رياح لواقح تهب عليها في القرن العاشر ا لميلادي إذ تجدد الاهتمام الأوروبي بالمعرفة نتيجة لوصول وتغلغل المعارف والعلوم العربية إلى أوروبا عن طريق إسبانيا وصقلية . وفي نهاية القرن الثاني عشر ساعدت التراجم اللاتينية علماء الغرب في الحصول على مؤلفات الإغريق العلمية التي كانت قد ترجمت إلى العربية أصلا ومن ذلك مؤلفات أرسطو وأبقراط وجالينوس وديوسقوريدس . كذلك اطلع الغربيون على علم الجبر للخوارزمي والقانون لابن سينا والحاوي للرازي والأعمال الفلكية وكتب الكيمياء والرياضيات وغير ذلك. كان أشهر مترجم غربي هو جيرارد د و كريمون الذي عاش فترة في طليطلة ينهل من علومها وآدابها وتعلم العربية وأتقنها وقيل إنه تمكن من ترجمة 92 كتابا عربيا إلى اللاتينية ففتحت هذه التراجم عالما جديدا بهر رجال الفكر الغربي وأذكى من دهشتهم وحفزهم على ا لمزيد من الاطلاع ، ومن العوامل التي ساعدت على احتكاك الأوروبي بالعرب والمسلمين أيضا الحروب الصليبية. ومن أشهر الذين كان لهم تأثير كبير على انتقال العلوم من العرب إلى الغرب قسطنطين الإفريقي ا لمولود في قرطاجة عام 1020م والذي كان له باع طويل في تطوير مدرسة الطب في سالرنو . [(3)]

---

[1]- حماش خليفة ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ،غ م ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2006 ، ص 301.

[2] - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 419.

[3] - brosselet j , Revue du praticien, les plumes du paon de constantin l'africain , N° 20 décembre 1995 , pp 2528

وامتاز القرن الثالث عشر بظهور الجامعات في أوروبا .وبدأت هذه الظاهرة في إيطاليا و ما يجدر ذكره أن علمي الطب والصيدلة كانا محصورين في أوروبا خلال العصور الوسطى في الأديرة ورجال الدين وبقي الحال كذلك إلى أن وضع حد لتدخل القساوسة في مهنة الطب عندما تحولت إلى مهنة قائمة مستقلة بذاتها في 1163 م . ومن طليعة ا لمدن التي تسرب من خلالها الفكر العربي والإسلامي إلى أوروبا مدينة سالرنو الإيطالية، فقد عرفت أوروبا المستشفيات لأول مرة في تلك المدينة منذ القرن التاسع الميلادي، حيث أنشئ فيها مدرسة للطب عام 846 م وتعد مدرسة سالرنو الجسر الذي أوصل الشرق بالغرب وساعد في بعث طب جديد مستقل عن الأديرة والقساوسة. ثم ظهرت مدينة مونبلييه التي ورثت مدرسة سالرنو. ومن جامعات أوروبا الشهيرة في تلك الحقبة جامعة بادوا الإيطالية التي يقال إنه كان بها حوالي 3000طالب عام 1238 م ووصلت إلى قمة مجدها عام 1405 م حين أصبحت تابعة لمدينة البندقية المشهورة بسياسة الانفتاح. ومن أوائل الكتب التي ترجمت وطبعت باللاتينية كتاب القانون في الطب لابن سينا الشيخ الرئيس و أصبح هذا الكتاب المصدر و المرجع الأساسي في دراسة الطب .(1)

غير أنه عرفت ممارسة الطب تطورا كبير في أوروبا في القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر و أصبح الطبيب أكثر دقة و مهنية ، و أصبح أكاديميا و علميا فتخلى عن طابعه الموسوعي الذي كان يتميز به في العهود السابقة و اشتغل خاصة بالطب و تخلى عن العلوم العقلية الأخرى كالفلك و الكيمياء و أصبحت له مكانة اجتماعية و ضرورة حساسة في المجتمع لا يمكن الاستغناء عنها ، و كل ذلك يعود إلى إصلاحات سياسية جوهرية قامت بها السلطات التي تفطنت لإشكالية الصحة مع التزايد السكاني و انتشار الأوبئة مما نتج عن ذلك أن أصبحت دراسة الطب واجبة لها نظام معين يتلقى الدارس لها دروسا نظرية و تطبيقية ، و تقارب الجراح و الطبيب بعد انشقاق طويل و اتحدت جهودهما لاكتشاف المرض و مكافحته و تساوت كل الاختصاصات، كما ظهرت اختصاصات جديدة أخرى مثل الطب الشرعي ، التوليد ،

---

[1] - A.R. HIJAZI . l'anesthesle chez Avicenne et les techniques anesthesiques au Xle siecle . *Annales. Francaises. D'Anesthésie. Reanimation.*, 3: , 1984.p76-78.

النظافة ، علم التشريح و أعطي الطبيب مكانة و أصبح في مهنته يرتقي علميا من طبيب عام الى أستاذ متخصص فزاد عدد الأساتذة الذين أوكلت لهم مهام التعليم زيادة إلى العلاج و تطور بذلك مفهوم المهنة و عرف الطب السريري الذي يرتكز أساسا على الأعراض و بات هذا الأخير الأساس في الممارسة و العيادة الطبية مما زادت في إنسانية الطبيب التي روجت لها الأفكار التنويرية خاصة بعد الثورة الفرنسية مع تيسو tissot ، تونان tenon ، كابانيس cabanis , بينل pinel و تكون المستشفى الذي أصبح يحتوي على مصالح، كل مصلحة لها رئيسها وادارتها و تخصصها مما شجع البحث العلمي و الأفكار التقدمية و ظهور المجمعات العلمية و الندوات و الدوريات و الملتقيات ما كان له الأثر البالغ في دفع عجلة التطور الطبي .[1]

تلك هي الحركية التي عرفتها أوروبا و لم ترق إليها الشعوب الإسلامية عامة بعدما كانت رائدة في هذا المجال و لم يقم حكامها بتلك الإصلاحات الأساسية، فتقهقر و تدنى المستوى الطبي ، فكان المشعوذ طبيبا و الحلاق جراحا و لم يعط الطبيب مكانته الاجتماعية الخاصة مما أدى إلى تدني الوضع الصحي و المداواة . غير أن ما يجب ذكره أنه لم يكون هذا التطور الكبير الذي عرفته أوروبا في ميدان الطب ممكنا الا بتدخل السلطة، و أصبحت الصحة من مهام الدولة و صلاحياتها، فأصدرت مراسيم تشريعية لضبط و تنظيم المهنة , ففي فرنسا أصدر مرسوم ملكي يدعى مرسوم مارلي marly بتاريخ 18 مارس 1707 م و الذي كان هدفه الأول هو ضبط قواعد المهنة، و منع كل شخص لا يملك شهادة أو اجازة و كفاءة في ممارسة الطب، انه نفس الاجراء الذي قام به سنة 930 م الخليفة العباسي ا لمقتدر بالله 295-317هـ بعد أن علم بوفاة أحد المرضى نتيجة خطأ ارتكبه أحد الأطباء فأمر الخليفة رئيس أطبائه سنان بن ثابت بن قرة أن يعقد امتحانا لجميع الأطباء و الممارسين و من المدهش أنه في السنة الأولى أجرى الامتحان لأكثر من 800 طبيب في بغداد وحدها. وأصبح النجاح في الامتحان شرطا أساسيا مسبقا لمن يرغب من الأطباء في ممارسة مهنة الطب، وكان المحتسب يرأس مجلس التراخيص الذي كان أيضا يفتش عن الصيدليات والموازين والمكاييل.

---

[1] - Bariéty M. , Coury CH. - Histoire de la Médecine. Librairie Arthème Fayard , 1963 pages 579-591

فإذا ما نجح الطالب بالامتحان يقسم قسم أبقراط أمام المحتسب وعند ذلك فقط تصرف له إجازة ا لمزاولة المهنة، وهي طريقة لا تختلف عما هو متبع ومألوف حاليا. وها هو نص شهادة حصل عليها طبيب عربي في العصر العباسي كان مختصا بالجراحات الصغيرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

" بإذن الباري العظيم نسمح له ممارسة فن الجراحة لما يعلمه حق العلم ويتقنه حق الإتقان حتى يبقى ناجحا وموفقا في عمله وبناء على ذلك فإن بإمكانه معالجة جراحات حتى تشفى وفتح الشرايين واستئصال البواسيروخلع الأسنان وتخييط الجروح وختان الأطفال . ..وعليه أيضا أن يتشاوردوما مع رؤسائه ويأخذ النصح من معلميه الموثوق بهم وبخبرتهم ...[1] "

و مثل هذا الاجراء الاصلاحي الهام أهمله الحكام الأتراك في الجزائر و لم ينشئوا سلطة ضبط المهنة, و يعتبر الدارسون للقانون أن مرسوم مارلي في فرنسا يعتبر أول نص قانوني في الصحة العمومية في فرنسا نظم مهنة الطب و أبرز حقوق و واجبات الدارس و المتمدرس و قد نص هذا المرسوم على ما يلي :

المادة 9 : لايمكن لأي طالب أن يتقدم الى الامتحانات ان لم يدرس الطب لمدة 3 سنوات .

المادة 14 : يجب أن يمتحن الطالب لمدة لا تقل على ساعاتين ، و اذا نجح يمتحن ثانية في اختبار لا يقل مدته عن ثلاث ساعات ، و اذا نجح يجوز له ان يتقدم من بعد ثلاث أشهر لامتحان أخر مدته لا تقل عن أربع ساعات يحصل على اثرها على شهادة الليسانس قي الطب تمكنه اجتياز أخير امتحان لمدة خمس ساعات فاذا نجح يتحصل على شهادة دكتور في العلوم الطبية تمكنه من ممارسة مهنته.

المادة 18 : لا يمكن تدريس الطب في الكلية الا للأطباء الحاصلين على درجة أستاذ .

المادة 22 : الحضور و دراسة مادة علم التشريح , الصيدلة و علم النباتات اجباري على طلبة العلوم الطبية .

---

[1]- رياض رمضان العلمي ، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، يناير 1988، ص 33.

المادة 25 : يجب على الطلبة والأساتذة تدريس أناطوميا على الجثث خاصة الذين يدرسون الجراحة و على مسؤولي المستشفيات توفير هذه المادة للدراسة [(1)].

و تبع هذا المرسوم الملكي في سنة 1776 م احداث الجمعية الملكية للطب من طرف فيك دازير vick d'azyr و كانت بمثابة هيئة رسمية تتابع تطور تعليم و دراسة الطب و تم تقنين و تنظيم العمل الاستشفائي في سنة 1788 م حسب توصيات مذكرة تونان tenon .

والغريب أن الجزائر عرفت ازدهارا في ميدان الطب و شهدت في العصر الوسيط تقاليد استشفائية و وقائية نظرا لاحتكاك المجتمع بالمدنية الإسلامية . وكان في كل مدينة كبيرة مكتبة ضخمة غنية بالكتب والمخطوطات العديدة. وكان ا لمستشفى ا لمركزي يحتوي على أجنحة مخصصة للنساء وأجنحة للرجال وأخرى للأطفال كما كانت الأجنحة تختص بنوع معين من الأمراض كجناح الحميات وجناح العيون وجناح الإسهال وجناح الولادة . وكان في المستشفيات النوافيرالمائية لتلطف جو أجنحة الحميات القريبة. و كانت الخدمات الطبية والصيدلية مجانية كما كان ا لمستشفى يزود المرضى بكميات كافية من ا لماء من أجل الشرب والاستحمام والغسيل .ويزود الأستاذ الذي يعمل با لمستشفى نزل مجاني يسكن فيه هو وعائلته .واحتوت ا لمستشفيات على صيدليات خاصة بها تصرف الأدوية للمرضى بالإضافة إلى القاعات المخصصة للمحاضرات و المكتبات. بالإضافة للمستشفيات ابتكرا لمسلمون العيادات المتنقلة التي كان بوسعها أن تصل إلى المناطق النائية.

ومقارنة مع ما جرى في روسيا فيما يخص الممارسة الطبية , فان الطب كان شبه منعدما في العصر الوسيط و كانت الخدمات الصحية محصورة في الكنيسة بتشجيع من الدولة حيث أن فلاديم vladim كان يعطي 10 % من خزينة الدولة الى الكنيسة لهذا الغرض و مع ذلك ظل الشعب ينفر من هذه الخدمات و غالبا ما يلجأ الى المتطببين التقليديين و الذين كان أكثرهم مشعوذين حسب ميرسكي وظل تأثيرهم الى غاية القرن 20 م [(2)]

---

[1] - F. isambert et alii , recueil général des anciennes lois francaises depuis 420 jusqu'à la révolution de 1789 , librairie belin- le prieure , 1830 ,T 20 , pp 508- 517

[2] - Nathalie kouriokina-sacré, opcit ,.p50.

و زيادة على ذلك فان روسيا لم تعرف ترجمة كتب الطب الا في القرن 14 م و ذلك بعد ان قام باصلاحات و تشريعات لتطوير الخدمات الطبية بعد سفره الى هولندا و سمع و تابع دروس الطبيب بوهرف boohaave* في جامعة ليدن leyden فعند عودته أمر و شرع و شجع ترجمة الكتب الطبية و مجيئ الأطباء الأجانب أمثال نمسين nemcin و رايش raysh و أصبح علم التشريح اجباريا في تدريس الطب في روسيا .[1]

فالملاحظ ان روسيا لم تكن تملك رصيدا معرفيا طبي في العصر الوسيط و كانت تجهل أسماء ايبوقراط ، جالينوس و ابن سينا عكس الجزائر التي ازدهرت فيها الخدمات الصحية في تلك الفترة و كانت تملك رصيدا معرفيا و ارثا تكوينيا كبيرا و كانت مدن مثل تلمسان و بجاية حواضر علم و مراكز اشعاع ومقصد لتعلم الا أن هذا المكسب الحضاري لم يرق و لم يواكب الحركية العلمية عموما و الطبية خاصة و ذلك في غياب تشجيع السلطة و عدم قيامها بتعديلات و لا بإصلاحات و لا بتشريعات و كـأن الصحة و العلم لم يكونوا من أولويات و لا من مهام السلطات التركية .

3-3 انتشار ظاهرة التصوف في ظل انعدام هيئات تعليمية كبرى في الطب:

لقد تأثرت الجزائر في العهد العثماني بروح العصر، فبداية من القرن السابع الهجري، الذي تلون بالاتجاه الصوفي و الطرقي، فقد كان سلاطين الدولة العثمانية متأثرين إلى حد بعيد بالتصوف فكرا و سلوكا ، فكان سلطان القسطنطينية حاميا للطريقة القادرية في الشرق و حتى بغداد، حيث كان مركز هذه الطريقة الرئيسي فلا غرابة إذن، إذا وجدنا حكام الجزائر الأتراك يهتمون بالإسلام الصوفي و طرقه، خاصة الطريقة القادرية، ان ذلك كان طبيعيا و حتميا ، اذ ان بروز الدولة العثمانية وبالأخص النظام العسكري ، قام أساسا على الروح الصوفية وبمباركتها ، فتخرجت أول دفعة من النظام الإنكشاري، حوالي سنة 1335 م ولمباركتها عرضت على الشيخ بقطاش أو"حاجي بقطاش"،" مؤسس طريقة الدراويش البكطاشية ، الذي باركها بوضع يده على رأس الجندي داعيا للجيش الجديد بالنصر المبين، وتبركا به أمر السلطان بإلباس الإنكشاري قلنسوة من الصوف الأبيض تتدلى من وراءه رمزا لكم الشيخ حين

---

* يعد بوهاف من أبرز و أشهر الأطباء الهولنديين الذين اهتموا و شجعوا الطب السريري غير أن ابن زهر سبقه في ذلك.

[1] - Nathalie kouriokina, op.cit, p52

تدلى على رأس الجندي عند مباركته، وهذا الشيخ هو الذي أطلق اسم" يني تشيري"على الجيش الجديد، وقد حورت العبارة أثناء تداولها في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية إلى " إنكشاري" وتبركا بهذا الشيخ، بنيت أول ثكنة للإنكشارية قرب ضريح الشيخ بقطاش، ومنذ القرن 16 م أصبح ارتباط هذه الفرق بالطريقة البقطاشية رسميا[(1)] .

و أما العامل الآخر في إتباع الأتراك في الجزائر سياسة صوفية، هو كون التصوف كان قد بسط نفوذه على ربوع البلاد شرقها، و غربها، شمالها، و جنوبها، و إليه يعود الفضل في رفع لواء الجهاد ضد غزوات الصليبيين. و لا يمكن في هذا السياق تجاهل الدور الجهادي الذي أداه الصوفية في الدفاع عن الدين الإسلامي، و كذا نشره. فلم يكن التصوف في الجزائر العثمانية شيئا جديدا أو طارئا جلبه الأتراك معهم، بل امتدادا للحركة التي ظهرت خلال حكم الموحدين [(2)] ، و كانت هذه الفترة تربة خصبة أنبتت أعداد هائلة من المرابطين و شيوخ الطرق الصوفية ، و ازدادت انتشارا و تجدرا خلال القرون التي تلت فمعظم كبار الصوفية و مؤسسي الطرق الصوفية في التاريخ قد ظهروا قبل10هـ/ 16م و وافق دخول الأتراك إلى الجزائر، التفاف الناس حول المرابطين و تقديسهم وقد كثروا كثرة ملفتة للنظر، حيث شجعت السلطة السكان بالريف نحو أضرحة مرابطين الذين منحتهم هبات وركزت على إظهار أهميتهم حتى أصبحوا زعماء حقيقيين لأهم المدن مثل سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر، سيدي علي مبارك بالقليعة، سيدي أحمد الكبير بالبليدة، سيدي محمد الغبريني بشرشال، سيدي بن يوسف بمليانة... و هذا حتى تسهل عليها مراقبتهم، ولنفس السبب نجدها نقلت ضريح سيدي محمد بن عبد الرحمان رئيس الطريقة الرحمانية من آيث إسماعيل إلى الحامة بالجزائر، وحتى المرابط سيدي عبد الرحمان بن شامة و بسبب كثرة أتباعه بالريف خشيت السلطة من هذا الأمر فنقلت ضريحه هو الآخر إلى مدينة شرشال[(3)]

و لقد استفاد الحكام العثمانيون بالجزائر من انتشار حركة التصوف في المجالين التاليين:

---

[1]- حماش خليفة ، العلاقة بين الإيالة الجزائرية والباب العالي من 1798 الى 1830 ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غم . جامعة الإسكندرية 1988 ، ص116

[2]-بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع و التاسع الهجريين (ق 13 – 15 م) ، دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، 2003 ، ص 55.

[3]- شدري معمر رشيدة ، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر،رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر،2005-2006، ص ص 175-176.

أولا: مجال الجهاد، فالصوفية و المرابطون كانوا يدعون إلى الجهاد و يجمعون التبرعات ، والتقت هذه الدعوات مع الأهداف السامية للقرصنة أو الجهاد البحري.

ثانيا: يتمثل في إدارة أمور الاهالي، و تسيير شؤون البلاد باستغلال سلطة المرابطين الروحية على الناس و التي بلغت درجة ارتبطت بها حياتهم" فعلى سخط أو بركة المرابط تتوقف سعادة القبائلي الخيالية [1] . و تقرب العثمانيون من المرابطين وشيوخ الزوايا، باعتبارهم القوة الروحية المسيطرة على السكان ، ذلك أن المرابطين كانوا، حسب تعبير حمدان بن عثمان خوجة، نعمة من بها الله على الحكم العثماني لفرض وجوده بالبلاد،" إذ بمجرد مالهم من نفوذ على هذه الشعوب يسكتون أسلحة الخدوم ويمنعون إراقة الدماء" [2] .

و إذا أضفنا إلى ذلك عامل تدين العثمانيين أنفسهم، و تأثرهم بالإسلام الصوفي، أمكننا ان نقف على المبررات التي دفعت الأتراك إلى العناية بالمرابطين فكانوا يعظمونهم، و يتقربون إليهم " و يتبركون بهم و يطلعونهم على خططهم و نحو ذلك و لتشجيعهم كان الباشوات يعينون رؤساء روحيون على الأعراش و القبائل، ينتفعون بأعطياتهم و زكواتهم، فقد كان المرابطون و الأشراف في قمة الهرم الإجتماعي، خاصة بمنطقة القبائل، حيث كان المرابط يحظى بإحترام وطاعة عمياء من طرف الأهالي تستمر حتى بعد مماته.[3]

وشاع الإعتقاد لدى الناس بقبول دعوة المرابطين عند الله ،وأن سعادة الفرد تتوقف على سخط أو رضى المرابط حتى وصل الأمر بهم إلى تقديم القرابين له حتى تتحقق أمانيهم.[4]

و قد توطدت علاقات متينة بين العثمانيين و المرابطين، و عملوا على تجسيدها على الواقع السياسي و الحربي، كما كانت زاوية المرابط الملجأ الأول للباي في أوقات المحن، فكان الباي المخلوع أو الذي أراد الفرار من الحياة السياسية لمخاطرها، لا يجد ملجأ له وأسرته ومخبأ لأمواله غير زوايا المرابطين لما كان لها من حصانة، وقد أوردت لنا المصادر التاريخية عددا من الأمثلة على ذلك، منها إلتجاء الباي" علي بن صالح"، 1710م،إلى زاوية

---

[1]- سعد الله ابوالقاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 416-425.
[2]- خوجة حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص 57.
[3]- شدري معمر رشيدة، المرجع السابق،ص79.
[4]-حمدان خوجة، المصدر السابق، ص57.

سيدي أحمد بن علي أمقران بمجانة وبقائه بها حتى وفاته ، وفرار الباي" حسين زرق عينو"، 1167ه 1753 /م، إلى المرابط سي محمد بن سيدي ناصر بن رهن، مرابط قبيلة "التلاغمة"، جنوب قسنطينة، أثر هجوم باي تونس على قسنطينة[1] و قد تجسدت هذه العلاقة المتينة بين العثمانيين و المرابطين باعطائهم بعض الامتيازات الاجتماعية فقد منح للمرابط "سيدي سعادة"، مول الشقفة بجيجل، من طرف الباشا محمد عثمان مكافأة له على مشاركته في صد هجوم الإسبان على الجزائر إلى جانب صالح باي، سنة 1188 ه 1775 /م، وقد أرسل له ختما وقفطانا دليل تعيينه على منطقة الشقفة[2]

و كان العثمانيون يحبسون بعض من أملاكهم وقفا على الزوايا و الأضرحة و المساجد فعلى سبيل المثال نذكر أن الباي حسين بن صالح عام 1221هـ/1807م عندما خرج في إحدى حملاته العسكرية أخذ على نفسه نذرا يتعهد فيه ببناء دار الولي سيدي علي العريان و السيد محمد بن سيدي سعيد و إصلاح مسجده و تحسين أوقاف يستعين بها على رعاية الطلبة والغرباء و أبناء السبيل. و كانوا يتبركون بهم أيضا ببناء المشاهد و القباب على قبورهم، و كذا الزوايا. فقد عرف عن الباي محمد الكبير أنه إعتنى ببناء مشهد الولي محمد بن عودة و الولي أحمد بن يوسف ، كما أعيد تجديد ضريح عبد الرحمان الثعالبي خلال العهد العثماني أربع مرات، الأولى في عهد مصطفى باشا، و الثانية على يد الوكيل عبد القادر، في عهد حسين باشا، و الثالثة على يد الباي الحاج أحمد، أما التجديد الرابع فكان في عهد عبدي باشاو لزم عن إعتناء الحكام الأتراك لإيالة الجزائر بالمرابطين أحياء و أموات، أن كثرة الأضرحة و القباب، بحيث لم تعد مدينة أو قرية تخلو من زاوية أو ضريح أو قبة على أقل تقدير " و عند كل بناية أناس يتبركون و يدعون و يزورون و يتقربون، و يقيمون الحضرة و يقدمون الهدايا و يذبحون الذبائح، آتين من كل فج[3] .

و لم تأت عناية الحاكم العثماني بالمرابطين للإستفادة منهم كأداة سياسية، بل كانت تعكس إتجاههم الديني و الصوفي، و ذلك ما يفسر محاولاتهم الحصول على رضى المرابطين، و هو ما يفسر كذلك زيارتهم للشيوخ، و سؤالهم الدعاء لهم، من ذلك ما أورده سعد الله، من أن " بيري رايس العثماني، يذكر أنه هو و عمه قائد الغزوة كمال رايس، نزلا سنة بمدينة بجاية و لجأ إلى

---

[1]- معاشي جميلة ،المرجع السابق ، ص 103.

[2]- نفسه ، ص 104 .

[3]- Emile dermenghem,op.cit, p121.

زاوية الشيخ محمد التواتي، الذي كان يبلغ من العمر مائة و عشرين سنة و ظلاّ شتائين في بجاية حبا في الشيخ التواتي بينما كانا يذهبان في الصيف للغزوو الجهاد و كانا هذا سلوكا شائعا، منتشرا بين البحارة، حيث كانوا يذهبون إلى الأولياء عند خروجهم للجهاد، تبركا بهم[1].

كان الاعتقاد السائد هو ان المرض غالبا ما هو الا نتيجة العين أو الحسد أو فعل الجن فامتزجت طريقة الدواء بزيارة ضريح ذاع صيته بشفاء مرض معين وتناول بعض الخلطات التي يقررها شيخ الطريقة او حسب العادات المتاورثة و زيادة الادعية و الاستخارة [2] ، و التقرب بالهدايا و الصداقات او حمل الأحجبة لإبعاد العين و الحسود. كل هذا ما هو الا نتيجة تراكم رواسب عادات استشفائية توارثتها الاجيال منذ القديم.

و ما يميز الجزائر في العهد العثماني هو تدني مستوى الخدمات الصحية و انتشار الشعوذة في ظل الصوفية ، و يذكر سعد الله بعض النماذج منهم، كالقاسم بن أم هانئ الذي إتخذ طريقه الشعوذة التي بدأها " بالإكثار من الصوم، و الصلاة، و لبس الغرارة المرقعة و أكل الشعير حتى إشتهر أمره بين الناس في قسنطينة و نواحيها و لكي يتجنب مضايقات الولاة أو منعهم إياه من ممارسة تدجيله كان يلجأ إلى إرشاءهم ليكفّوا أيديهم عنه، و كان أتباعه يذهبون إلى البوادي و ينادون بأن شيخهم يبرئ من العاهات و نحو ذلك من أنواع الكرامات ، و لم يكن الناس يهتمون بدرجة العلم لدى مرابطهم، بل إستوى عندهم الجاهل و العالم. و كان مقياس الصلاح و الولاية في نظرهم هو خرق العادة، من إعلام الغيب و الإبراء من الأمراض خاصة، لأن ما كان يرجوه الناس من الآثار النفعية، و يلبيه الولي، هي التي تدل على ولاية الشخص.

و قد لعبت الزوايا دورا هاما في التكافل الاجتماعي و نشر العلم في الجزائر خلال العهد العثماني فقد عرفت اهتماما بالعلوم الدقيقة و انتشار واسع للمدارس في الزوايا ، الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة المدارس و قلة الأمية بين سكانها[3] وهذه المدارس التي كانت تهتم بتدريس مختلف العلوم فمدينة الجزائر لوحدها كانت تضم 229

---

[1]- سعد الله ابوالقاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص213.

[2] - Emile dermenghem,op.cit , p132.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 274

مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ[1]، منها المدرسة القشاشية التي أشاد بها أبو راس الناصري و اعتبرها مركز للتعليم العالي، [2]،والمدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة سنة 1190 ه-1776 م لتدريس مختلف العلوم ، و قد جعل لها نظاما خاصا . [3] و بتلمسان كانت هناك 50 مدرسة تستقطب 12000 أو 15000 نسمة و في معسكر اشتهرت المدرسة المحمدية [4]

غير أن ذلك لم يكن كافيا خاصة في ميدان الطب و تعليمه فأنعدمت هيئات تعليمية عليا كما كان الحال في أوروبا ، ففي روسيا على سبيل المثال ، قام الأطباء الأجانب ، خاصة الألمان ، بانشاء جامعات لتدريس و تعليم الطب و ممارسته ، ففي سنة 1754م قام الطبيب كوندويدي kondoidi ، و هو من أصل يوناني وفد الى روسيا و عمل طبيبا لاليزابت الأولى و قام بتنظيم الدراسة الطبية وجعل مدتها سبع سنوات مع اجبارية الامتحانات كل ثلاث أشهر وأحدث منصب أستاذ في الطب و الذي يشرف على التدريس و الامتحانات [5] .

لم ترقى السلطة العثمانية في الجزائر الى التفكير في هذه الاصلاحات الجوهرية ، و لم يكن للحكام بعد و مشروع حضاري و لم يشجعوا استحداث هيئات تعليمية كبرى و جامعات في الطب و علوم دقيقة أخرى و ذلك كله في ظل انتشار الصوفية ، و لم ينتفع المجتمع بتواجد الأطباء الأوروبيين كما كان الحال في روسيا مع الألمان ، فكانت النتيجة الحتمية انخفاض المستوى الثقافي و تدنى مستوى الخدمات الصحية و الممارسة الطبية ، انه سمة نظام عسكري لا يملك و لا يستطيع أن يعطي مشروع حضاري جاء الى الجزائرفي 1519 م بحجة الجهاد و كرس سياسة المحافظة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للرعية، واحترام عاداتها وقوانينها العرفية، وعدم المساس بسيادة حكامها المحليين مع الاكتفاء بالتبعية الرسمية للسلطة المركزية، وارغام دفع الضريبة هدفه الأساسي هو اقرار الأمن و ابقاء مقاليد الحكم في يد العنصر التركي ، و سقط هذا النظام بطرد الاسبان و بانقراض حجة وجوده تاركا في الميدان الطبي فراغا استغله الاستعمار الفرنسي في 1830م و بداية صفحة جديدة في تاريخ الطب في الجزائر عرفت باسم الطب الاستعماري.

---

[1]- TURIN, Op.cit p130,

[2]-محمد بن احمد ابي راس الناصر، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ، تقديم و تحقيق محمد غالم ،ط خ ، منشورات المركز الوطني في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، وهران ، 2005 ج2، ص91 .

[3]- نور الدين عبد القادر ،صفحات في تاريخ مدينة الجزائرمن أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، مطبعة البعث، قسنطينة ، 1965، ص 213.

[4]- شدري رشيدة معمر، المرجع السابق،ص59.

[5]- Nathalie kouriokina-sacré, opcit ,.p104.

الخـــاتمة

الخاتمـــة: ---

لقد عرفت الجزائر ممارسة الطب منذ القديم , ذلك أنه تتميز بموقع استراتيجي فوفد اليها عدة أجناس و حضارات أثرت فيها . وقد تطورت التقاليد الطبية حسب الحركية التاريخية و العلمية و الأحداث التاريخية التي عرفتها الجزائر . ففي القديم , كان الانسان في المغرب القديم يرى أن المرض هو عقاب الهي و أن الدواء يكون في عنصريين أساييين :

- تقديم القربان للألهة و استرضائها

- تناول الأعشاب للتخفيف من الألام

وكان الاعتقاد السائد هو أن الأمراض التي كانت تصيب الانسان سببها الأرواح الشريرة , فكان لابد من اللجوء إلى الشعوذة والاستعانة بالتعاويذ والتمائم لطرد هذه الأرواح الشريرة و تقديم الأضاحي للآلهة ، ثم عرفت الجزائر تقاليد استشفائية راقية عن طريق الاحتكاك بالمدنية الاسلامية الا أنه خلال العهد العثماني تراجع مستوى الخدمات الطبية و كانت مرآة لذلك العصر .

ان الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني تميز بوجود ثلاثة أنواع من الممارسة الطبية:

- الطب الشعبي
- الطب الأوروبي
- طب الأتراك .

فالطب الشعبي كان واقعا حتميا و ضروريا فهو موروث اجتماعي لممارسة طبية ترجع الى القديم ، جوهرها مزيج من الحضارات و الشعوب التي وفدت الى الجزائر ، أما الطب الأوروبي فجاء مع الأوروبيين الذين وفدوا كرحالة أو أسرى أو موظفين ، و أما طب الأتراك فهو طب عسكري شبيه بالصحة العمومية لأن الأتراك الوافدين على

الجزائر كانوا يحريصين على التمتع بالصحة الجيدة حتى يتسنى لهم الانضمام الى و الانخراط في الجيش .

و يبقى الطب الشعبي طبا تقليديا عنصره الأساسي التداوي بالأعشاب ، غير أنه بحكم الأزمات السياسية و الاجتماعية و عدم الاستقرار و تغير البنية الاجتماعية و اشكالية العنصر الديمغرافي و ظهور الأوبئة و الكوارث الطبيعية و تدني المستوى الثقافي كان ذلك كله له الأثر على الوضع الصحي فاختل و أصبح الطب مرآة لعصره فانفتح المجال فوجد الطالب و المشعوذ و الطبيب و الراقي و الجراح و العشاب كل له رؤيته الخاصة ، فامتزج الدخيل على المهنة بالطبيب الماهر ، و استغل بعضهم العامة في الصحة النفسية أين أضحت أضرحة المرابطين و الأولياء عنصرا هاما من الوصفة الطبية مع تفشي ظاهرة التصوف .

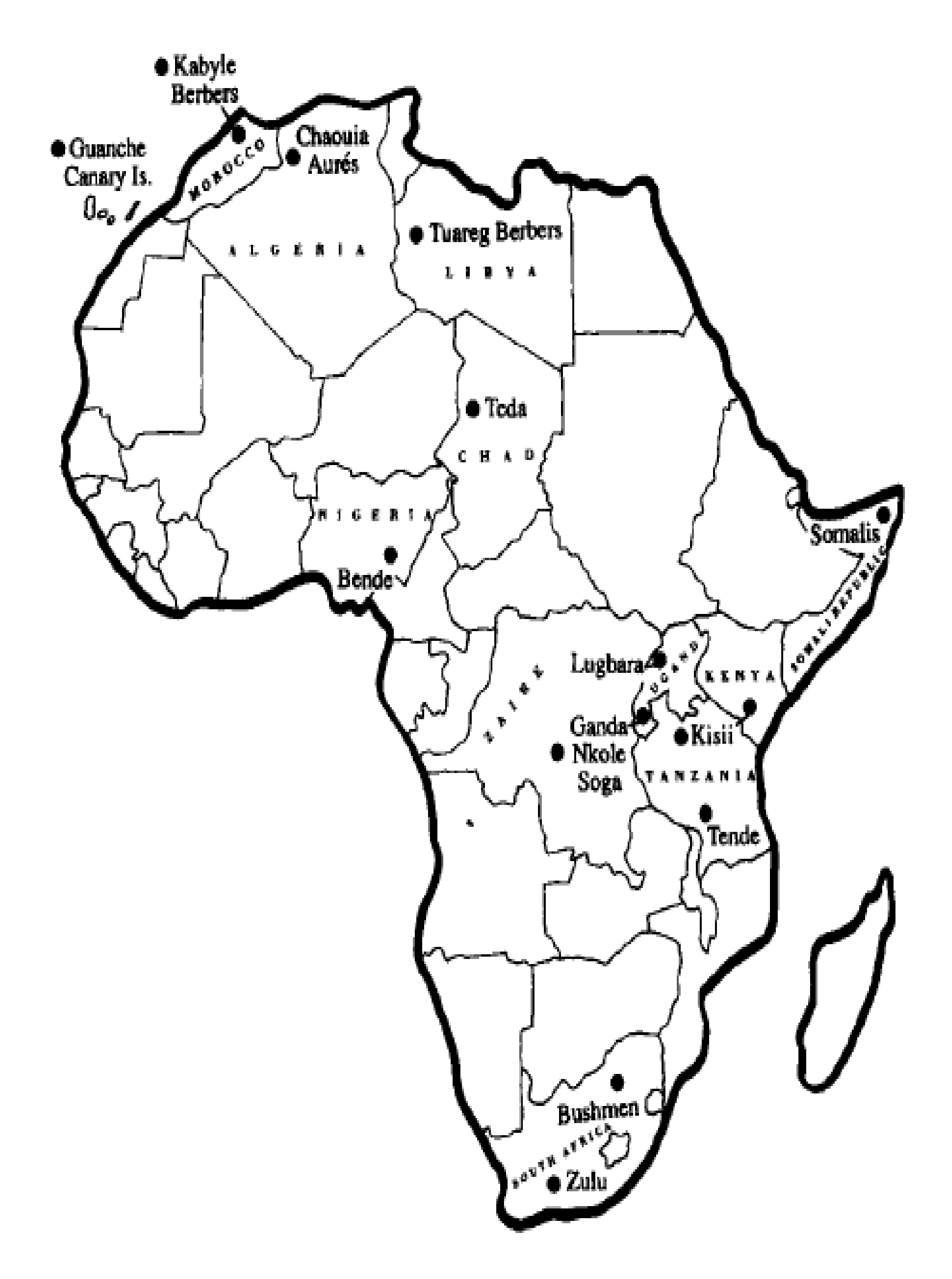
و قد أولت السلطة العثمانية اهتماما و تقديرا كبيرا و احتراما للأطباء الأجانب الأوروبيين خاصة في المدن ، حيث اتخذتهم الطبقة الحاكمة أطباء شخصيين و خواص ، تلك هي الاشكالية مقارنة بما حصل في روسيا الذين استقدموا أطباء ألمان الذين كانوا نواة الطب الحديث في هذا البلد عكس الجزائر التي لم تستغل وجود هؤلاء الاطباء رغم أنهم لقيوا ترحيبا من طرف المجتمع الجزائري عكس ما وقع للأطباء الألمان في روسيا.

و ما يمكن قوله أن الأتراك لم يكن لهم سياسة صحية محكمة تلك سمات النظام العسكري و لم يقوموا باصدار تشريعات و خلق هيئة عليا لضبط المهنة و سن قوانين ممارسة المهنة كما جرى الحال في فرنسا سنة 1707 مع مرسوم مارلي الذي كان يقضي بتنظيم المهنة و تقنينها بمنح اجازة أكاديمية علمية لكل من أراد دراسة الطب و امتهانه مستقبلا. غير أنه قام الأتراك ببعض الاجراءات الصحية التي كان لها الأثر المباشر على الوضع الصحي خاصة في المدن أولوا اهتماما لقنوات صرف المياه و

الخاتمـــة: -------------------- ---

الشبكة المائية التي لعبت دورا كبيرا في الصحة العمومية لارتباطها الكبير بنظافة المحيط و جعلوا هيئات مختصة تتكفل بالنظافة ، وهكذا بقي الطب في أيدي العامة و الأوروبيين و انخفض مستوى الخدمات ذلك في غياب هيئة تعليمية عليا و انتشار التصوف زيادة عن ظهور الأوبئة و الكوارث الطبيعية المتكررة التي كانت تزيد من تدهور الوضع الصحي و تأثيرها على بقية الميادين الأخرى فصحة الانسان ترتبط بنشاطه و حركته داخل المجتمع.

المــلاحق



مناطق انتشار عملية التربنة في القارة الافريقية.

Charles E. Rawlings, III, M.D., and Eugene Rossitch Jr., M.D. The History of Trephination in Africa with a Discussion of Its Current Status and Continuing Practice, Surg Neurol , 1994;41,p512.

PLATE I

a



GENERAL PRACTITIONERS OF THE AURES

b

أطبـاء من الأوراس أواخر القرن 19 م

simpson Hilton .Arab medecine and surgery. A study of the healing art in algeria.ed. london oxford university press.1922,plate I.



RETRACTORS, SCRAPERS, AND DRILLS



SCALPING INSTRUMENTS

أدوات الجراحة المستخدمـة من طرف الجراحين الجزائريين.

simpson Hilton .Arab medecine and surgery. A study of the healing art in algeria.ed. london oxford university press.1922,plate IV.

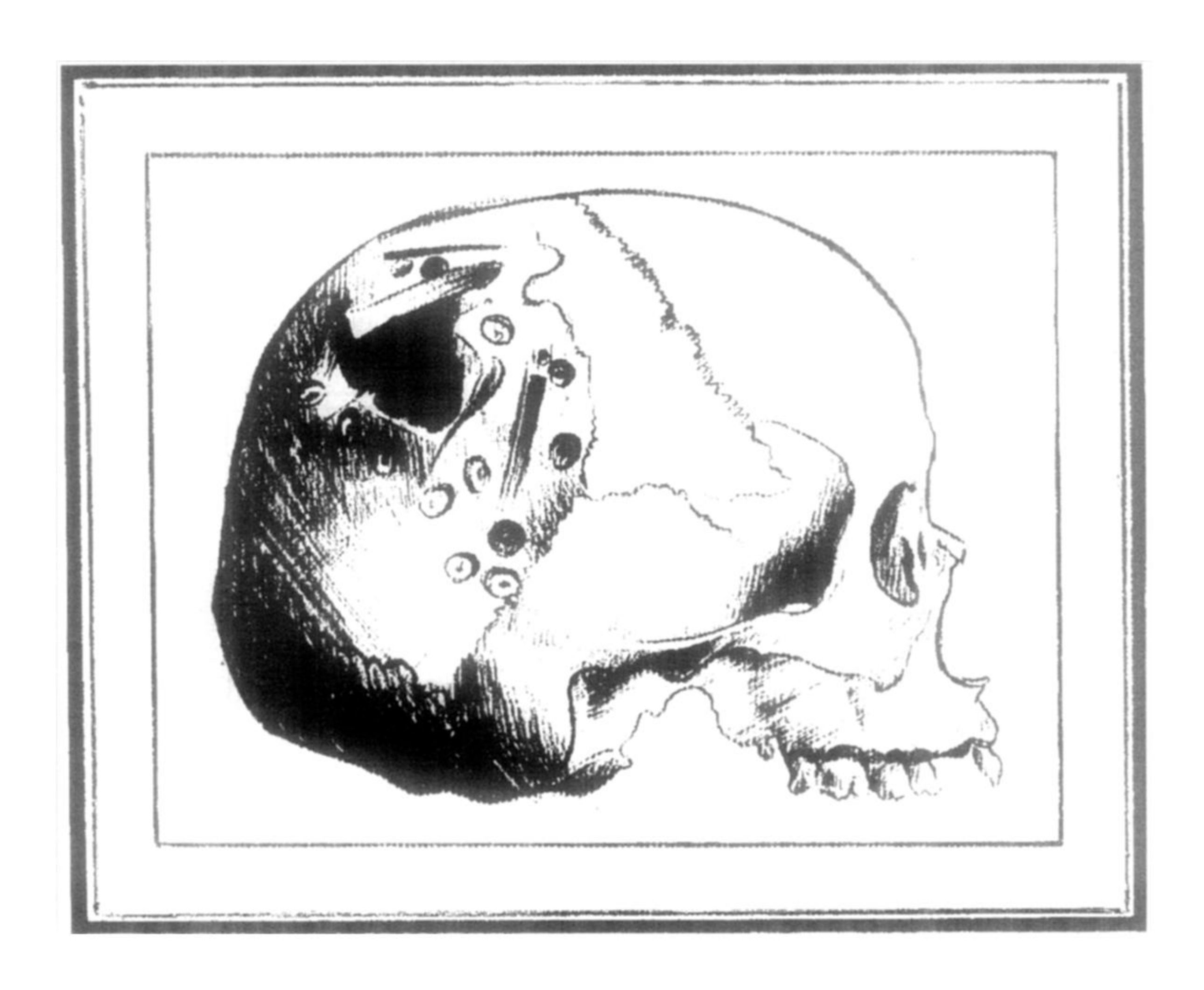


diagram of a skull discovered by Dr. H. Malbot in 1887 in Teberdega (Aures- Algeria). The skull was of a patient who had undergone several sessions of trephination for head injury sequellae, and who died later of smallpox.

جمجة خضع صاحبها لعملية التربنة ، اكتشفت من طرف الدكتور مالبو بالأوراس سنة 1887م.

El Khamlichi. A, M.D , AFRICAN NEUROSURGERY PART I:HISTORICALOUTLİNE. Surg Neurol 1998,p223.

قائمة المصادر و المراجع

قائـمة المصـادر و المـراجع ---

<u>الببليوغرافيــــا :</u>

أولا: المصــادر المطبوعة العربية و المعربة :

1- ابن أبي أصيبيعة ، عيون الأنباء و طبقات الأطباء ، تحقيق نزار زغبة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان ، دت ، ج3

2- ابن الخطيب لسان الدين ، مقنعة السائل عن المرض الهائل، منشورات معهد العلوم العربية الاسلامية، ألمانيا- فرانكفورت، 1417هـ-1997م.

3- " " " " " ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف علي طويل،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،ج1، 1424هـ-2003م

4- ابن عبد الرحمن. المقدمة ، ط 1 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2009

5- " " " ، العبر ، ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس خليل شحادة و مراجعة سهيل زكار ، دط ، دار الفكر ، بيروت ، 2001، ج1

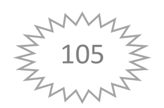
6- ابن حمادوش ،عبد الرزاق ، (رحلة ابن حمادوش الجزائري) لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال ، تقديم و تحقيق و تعليق تحقيق ابو القاسم سعد الله ، دط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1983

7- ابن عبدالقادر ، مسلم الوهراني ، خاتمة أنيس الغريب و المسافر ، تحقيق رابح بونار ، دط ، سلسلة ذخائر المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974

8- ابي راس الناصر محمد بن احمد ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ، تقديم و تحقيق محمد غالم ،ط خ ، منشورات المركز الوطني في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، وهران ، 2005 ج2

9- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،ط1، عالم الكتب ، بيروت- لبنان ، 1409هـ/1989م

10- الورتيلاني الحسن بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي الشنب، ط 2. دار الكتاب العربي، بيروت، 1394 هـ/ 1974 م.



11- بفايفر سيمون ، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب الدكتور أبو العيد دود، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

12- بتس جوزف ، رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) ، ترجمة و دراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، دط ، الهيئة المصرية العامة ، دم ، 1995.

13- خوجة عثمان بن حمدان ، اتحاف المنصفين و الأدباء في الاحتراس عن الوباء تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم , سلسلة ذخائرالمغرب العربي .الجزائر. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .1968.

14- خوجة حمدان ، المرآة ، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.

15- الزهار أحمد الشريف (نقيب الأشراف) المذكرات (تحقيق المدني أحمد توفيق) ش و ن ت الجزائر ط 2 1980.

16- " " ، المذكرات ، دط ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009

17- العنتري محمد الصالح. سنين القحط و المسغبة ببلدة قسنطينة. منشور تحت عنوان مجاعات قسنطينة .تحقيق و تقديم رابح بونار . الجزائر , سلسلة دخائر المغرب العربي . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع . 1974.

18- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت- لبنان ،ج3، 1419هـ-1998م.

19- الوزان الحسن.وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1983،ج2

20- كاثكارت جيمس ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب ، ترجمة و تقديم و تعليق ، اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982

21- هابنسترايت. ج . أو ، رحلة العالم الألماني : ج . أو . هابنسترايت الى الجزائر و تونس و طرابلس (1145 ه -1732 م) ، ترجمة و تقديم و تعليق ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الاسلامي ، دط ، تونس ، دت

ثانيا : المراجــع العربية و المعربة :

22- أ.أ.نيهاردت ، الآلهة و الأبطال في اليونان القديمة ، ترجمة هاشم حمادي، ط1، الأهالي للطباعة و النشر، دمشق، 1994

23- أف. شونبيرغ ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال ، ط 1، ترجمة أبو العيد دودو ، منشورات وزارة الثقافة ، مديرية الفنون و الأداب الجزائر 2004

24- بن رمضان شاوش محمد و الغوثي بن حمدان ، ارشاد الحائر الى آثار أدباء الجزائر ، دط ، دم ، دت ، مج2.

25- بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع و التاسع الهجريين (ق 13 – 15 م) ، دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، 2003.

26- بوعزيز يحي ، الحالة الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر ، ضمن كتاب مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999.

27- بونار رابح ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، ط3، دار الهدى ، عين مليلة – الجزائر ، 2000م

28- دو سولسي فيليسيان ، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر الى قسنطينة عبر المناطق الجبلية ، تقديم و ترجمة على تابليت، منشورات ثالة، لبيار- الجزائر، 2008.

29- زكي محمد حسن ،الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دط ، دار المعارف ، دم ، 1365هـ/ 1945م

30- حساني مختار ، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية ، دار الهدى ، عي مليلة- الجزائر ، ج1، 2011

31- الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، دط ، ش و ن ت ، الجزائر ، دت.

32- سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة: عبد القادر زبادية، ش، و،ن ت، الجزائر 1980

33- سعدالله أبو القاسم ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر . القسم الأول ، ط 2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981

34- " " " ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ،ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998 ،ج2.

35- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 ، ج2

36- " " "، النظام المالي للجزائر في الفترة العثماني 1800- 1830 م ش. ون. ت الجزائر 1979

37- " " " ، دراسات في الملكية العقارية، الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب .1986.

38- " " " ، الجزائر منطلقات و آفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية ، ط2،عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2008.

39- " " " ، دراسات و ترجمات في تاريخ المشرق العربي ، دط ، دار البصائر ، الجزائر ، 2012.

40- " " "، النظام المالي الجزائري أواخر العهد العثماني(1792-1830)، ط3، البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012

41- شويتام أرزقي ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره 1800-1830 ، دار الكتاب العربي ، ط1، الجزائر ، 2010.

42- " " " ،المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م ، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر ، 2009.

43- شنيتي محمد البشير ، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

44- الشمري غازي و جعفر يايوش ، ابن زهر دراسة في الكتابة و التطبيب، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم، جامعة وهران،2013.

45- شوفالييه كورين : الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 – 1541،(تر: جمال حمادة) د م ج، الجزائر ، 1991.

46- رياض رمضان العلمي ، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، يناير 1988

47- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، دار الألمعية للنشر و التوزيع، قسنطينة، 2013.

48- عبيد بوداود ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع و التاسع الهجريين (ق 13 – 15 م) ، دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، 2003

49- عقون محمد العربي ، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم، دط ، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2008.

50- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2، -دار الصحوة ،القاهرة ،1411هـ-1991م

51- فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين (814ق.م – 1962) ، دط ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، 1423هـ - 2002 م.

52- فيلالي عبد العزيز ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى ، عين مليلة- الجزائر ، 2014.

53- المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 م ، دط ، دار البصائر ، الجزائر ، 2008.

54- محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات (1659- 1671) ، د ط ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر 2011.

55- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت- لبنان، 1400هـ - 1980م.

56- جون وولف ، الجزائر و أوربا 1500-1830 ، ترجمة و تعليق أبو القاسم سعد الله ، ط خ ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009.

ثالثـا: المصادر و المراجع باللغات الأجنبيـة :

57- Abid. Larbi, La pratique medicale en algérie , editions ANEP, 2008

58- belhamissi moulay.Alger par ses eaux XVIème – XIXème siècles . ed .houma 2004

59- belhamissi moulay.Alger la ville aux milles canons . ed .houma 2004

60- Berbrugger adrien. Mémoire sur la peste en algérie depuis 1552 jusqu'au1819. In E.S.A. T2 ; imp royale ; paris 1848

61- Boutin y .reconnaissance des villes , forts et batteries d'alger ; publiée par G.Es in C.D.I.H.A. paris 1927.

62- Boyer P. l'évolution de l'algérie médicale de 1830 à 1956 ; librairie d'amérique et d'orient.paris .1960.

63- Chehrit kamel , les janissaires, origine et histoire des milices turques des provinces ottomanes et tout spécialement celle d'alger, edition grand alger , 2005 , alger.

64- De custine . A . La russie en 1839 .librairie Amyot TI. 1843.

65- De tassy laugier, histoire du royaume d'alger ,paris ed.loysel ,1992

66- De Paradis Venture , alger au XVIIIè siècle 1788 –1790 ,ed grand alger livre .alger 2006

67- dermenghem Emile , le culte des saint dans l'islam maghrébin, edition gallimard , 1954.

68- Devoulx Albert, Tachrifat.Alger :imprimerie de gouvernement,1852

69- Garnier .A et V.Delmare :dictionnaire des termes techniques de medecine , maloine S.A. ed paris ,1980,typhus

70- HAEDO (Fray Diego de) , "Histoire des Rois d'Alger" , traduit par Moliner-Violle, in R.A 18 80

71- Khiati Mostéfa.la medecine en algérie au cours de la période ottomane (XVI-XIX siècle). Edition houma

72- Leclerc Lucien, histoire de la médecine arabe, tome II, édition du ministère des habous et des affaires islamiques , Rabat, 1980

73- Lamarque L . recherches historiques sur la médecine dans la régence d'Alger ; Alger .imp .Baconnier.1951

74- Marchika , la peste en afrique septentoriale , histoire de la peste en algerie de 1363 à 1830. Julien carbonel , alger 1927

75- Merouche Lemnouar , recherches sur l'algerie à l'époque ottomane , monnaies prix et revenus , 1520- 1830 ,edition bouchene , paris 2002.

76- Moncer Roussi, population et société au Maghreb(horizon maghrébine), office des publication universitaires, Tunis, 1983

77- Pellissier. E, Annales Algériens, Librairie Militaire, tome 02,paris,1854

78- Raymond L, H.Soulie , P.Picard,'' hygiène et pathologie nord-africain '' . in assistance médicale , T1.

79- Raynaud .I .la peste en algérie , épidémies de la peste dans la régence d'Alger , cas de peste survenue dans la colonie de 1899 – 1924 , archives de l'institut pasteur d'algerie.T2. 1924

80- Shaw thomas . voyage dans la regence d'alger , traduit de l'anglais par J.mac carthy , 2éme edition .tunis : 1980

81- Simpson Hilton .Arab medecine and surgery. A study of the healing art in algeria.ed. london oxford university press.1922

82- Soulié henri. Hygiéne et pathologie nord africaine .T2 in CCA (1830-1930) .ed.masson et cie .VI , MCM XXXII

رابـعا: الرســائل و المذكرات الجامعيـة باللغة العربية :

83- خشمون حفيظة ، مهام مفتديي الأسرى و التزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر غير منشورة ، جامعة منتوري – قسنطينة - ، 2006-2007.

84- الزين محمد الأوضاع الاجتماعية و الصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830 ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر غير منشورة ، جامعة الجيلالي اليابس – سيدي بلعباس ، 2010-2011.

85- شدري معمر رشيدة ، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر،رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث و المعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر،2005-2006.

86- القشاعي فلة موساوي ، الصحة و السكان في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871 ، دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2003-2004.

87- " " " ، النظام الضريبي بالريف القسنطينى أواخر العهد العثماني1771 - 1837 م ، رسالة ماجستر في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر، 1989 – 1990.

88- قعر المثرد السعيد، الزراعة في بلاد المغرب القديم (ملامح النشأة و التطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م)، مذكرة ماجيستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م.

89- مزدور سمية، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ / 1192-1520 م) مذكرة ماجيستير غير منشورة، جامعة منتوري- قسنطينة، 1429-1430هـ/ 2008-2009م.

90- معاشي جميلة ، الانكشارية و المجتمع في بيلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث ، غ م ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007 – 2008.

91- حماش خليفة ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ،غ م ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2006

92- " " ، العلاقة بين الإيالة الجزائرية والباب العالي من 1798 الى 1830 ،رسالة ماجستير في التاريخ .الحديث، جامعة الإسكندرية ..1988

خـامسا الرسـائل و المذكرات الجامعيـة باللغة الفرنسية :

93- kouriokina-sacré Nathalie,l'image du médecin dans la littérature russe du XIXè siècle . thèse pour l'obtention de docteur en littérature paris-sorbonne,2011.

سـادسا : المقالات باللغة العربية :

94- دهينة عطاء الله ، ابن خلدون و سيرته الذاتية ، أعمال الملتقى الدولي لابن خلدون ، فرندة 1- 4 سبتمبر 1983 ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر 1984

95- حليمى عبد القادر . النباتات الطبية . وزارة الفلاحة و الصيد البحري . تقرير يوليو 1997. الجزائر

96- العرباوي عمر ، التميز... خصوصية الطب و الأطباء في تلمسان قراءة في تأثير هجرة الأطباء العرب و اليهود على الممارسة الطبية في المجتمع التلمساني ، المواقف ، عدد4 ، ديسمبر 2009.

97- الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، دكتوراه غير منشورة،جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، 2004-2005م.

98- عبد القادر نور الدين ،صفحات في تاريخ مدينة الجزائرمن أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، مطبعة البعث، قسنطينة ، 1965

99- غطاس عائشة ، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة الثقافة ، عدد 76 ، الجزائر ، 1993.



100- قويسم محمد ، الطب في قلعة بني حماد ، الملتقى الوطني الأول للدولة المركزية لقلعة بني حماد و الإشعاع الثقافي و الفكري ،26-27 أفريل ، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، الجزائر ، 2005

101- سعيدوني ناصر الدين ، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد التاسع ، 1415هـ-1995م.

102- لزغم فوزية ، الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني ، عصور ، جامعة وهران ، عدد 21 ، جويلية – ديسمبر 2013.

سـابعا : المقالات باللغات الأجنبية:

103- Abbassa Mohammed : Traduction des connaissances arabes, in Comparaison, N° 13, Université d'Athènes 2002

104- Aboubekr abdesselam benchoaib , "Les marabouts guerisseurs", revue africaine , N°51 ,1907

105- Brosselet j , Revue du praticien, les plumes du paon de constantin l'africain , N° 20 décembre 1995.

106- De grammont h.d et piesse .l ,description d'un manuscrit du père Dan, Revue africaine, N°27, 1883.

107- Devoult albert, un medecin condamné à mort pour avoir laisser mourir un malade, Revue Africaine,n 16, année 1872.

108- De haedo Diego, topographie et histoire générale d'alger ,Revue Africaine ,n 15, année 1871.

109- El Khamlichi. A, M.D , AFRICAN NEUROSURGERY PART I:HISTORICALOUTLINE. Surg Neurol 1998

110- Emerit. M , le voyage de la condamine à alger (1731), Revue Africaine,n 16, année1954.

111- Hijazi A.R. . l'anesthesle chez Avicenne et les techniques anesthesiques au Xle siecle . Annales. Francaises. D’Anesthésie. Reanimation., 3: , 1984.

112- Leclerc .l , L'euphorbe et le roi Juba. Revue Africaine, N° 27,1861

113- Rawlings CE, Rossitch EJ. The history of trephination in Africa with a discussion of its current status and continuing practice. Surg Neurol 1994

114- Regnier c , Revue du praticien, les saints guérisseurs tome 46 février 1996

ثامنا القواميس و الموسوعات باللغة العربية :

115- البعلبكي منير، معجم أعلام المورد،دط، بيروت-لبنان، 1992.

116- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط8 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1426هـ - 2005م.

تاسعا القواميس و الموسوعات باللغات الأجنبية :

115- encyclopédie encarta 2009 , dvd-rom.

عاشرا المواقع الالكترونية :

116- www.arab-ency.com الموسوعة العربية /arab encyclopedi



الفهرس

الملخص

لقد عرفت الجزائر ممارسة الطب منذ القديم وقد تطورت التقاليد الطبية حسب الحركية التاريخية و العلمية و الأحداث التاريخية التي عرفتها الجزائر و خلال العهد العثماني تراجع مستوى الخدمات الطبية و كانت مرآة لذلك العصر. ان الوضع الصحي في الجزائر في هدا العهد العثماني تميز بوجود ثلاثة أنواع من الممارسة الطبية: الطب الشعبي، الطب الأوروبي و طب الأتراك. فالطب الشعبي كان واقعا حتميا و ضروريا فهو موروث اجتماعي لممارسة طبية، و يبقى الطب الشعبي طبا تقليديا عنصره الأساسي التداوي بالأعشاب، أما الطب الأوروبي فجاء مع الأوروبيين الذين وفدوا، أما طب الأتراك فهو طب عسكري. و بحكم الأزمات السياسية و الاجتماعية و عدم الاستقرار و تغير البنية الاجتماعية و إشكالية العنصر الديمغرافي و ظهور الأوبئة و الكوارث الطبيعية و تدني المستوى الثقافي كان ذلك كله له الأثر على الوضع الصحي فاختل و أصبح الطب مرآة لعصره. و قد أولت السلطة العثمانية تقديرا كبيرا و احتراما للأطباء الأجانب الأوروبيين خاصة في المدن. و ما يمكن قوله أن الأتراك لم يكن لهم سياسة صحية محكمة تلك سمات النظام العسكري و لم يقوموا بإصدار تشريعات و خلق هيئة عليا لضبط المهنة و سن قوانين ممارسة المهنة، وهكذا بقي الطب في أيدي العامة و الأوروبيين و انخفض مستوى الخدمات ذلك في غياب هيئة تعليمية عليا و انتشار التصوف زيادة عن ظهور الأوبئة و الكوارث الطبيعية المتكررة التي كانت تزيد من تدهور الوضع الصحي و تأثيرها على بقية الميادين الأخرى فصحة الانسان ترتبط بنشاطه و حركته داخل المجتمع.

الكلمات المفتاحية:

العهد العثماني؛ الطب الشعبي؛ الطب الأوروبي؛ طب الأتراك؛ الخدمات الطبية؛ التداوي بالأعشاب؛ الأوبئة؛ الكوارث الطبيعية؛ السياسة الصحية؛ التصوف.

نوقشت يوم 08 جوان 2015